

سون كين

بدايه الانهيار

الحلقة الأولى: بداية الطريق

كان الصباح ينسج خيوطه الأولى فوق اليابان.
لم تكن الشمس قد ارتفعت بالكامل، لكن ضوءها الذهبي بدأ ينساب بهدوء فوق أسطح المنازل، كأنه يوقظ البلاد من سباتها دون أن يزعجها.
امتدت الكاميرا فوق البحر، حيث كانت أمواجه الهادئة تعانق الشاطئ بإيقاع ثابت.
ثم ارتفعت شيئًا فشيئًا...
لتكشف الجبال التي اكتست بالأخضر، والضباب الأبيض الذي كان يلتف حول قممها.
انتقل المشهد إلى القرى الهادئة.
حقول الأرز تمتد حتى الأفق، والمزارعون ينحنون فوق الأرض التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم.
ثم...
إلى مدينة أخرى.
قطار يشق طريقه بسرعة مذهلة، بينما تنعكس صور المباني الزجاجية على نوافذه.
ثم...
المعابد القديمة.
أعمدة حمراء شاهقة.
أجراس تهتز مع النسيم.
رهبان يسيرون بخطوات هادئة فوق الممرات الخشبية.
ثم...
شوارع طوكيو.
سيارات.
إشارات مرور.
طلاب بزيهم المدرسي.
باعة متجولون.
وأطفال يركضون خلف حمامات الساحات.
كانت اليابان تبدو...
حية.
هادئة.
متوازنة.
وكأن الزمن قرر أن يمنحها السلام الكامل.
...
وسط هذا الهدوء...
ارتفع صوت رجل مسن، عميق وواضح، كأنه يخاطب البلاد كلها.
"الفنون القتالية..."
ساد الصمت للحظة.
"ليست وسيلة لإيذاء الآخرين..."
انتقل المشهد فوق قلعة قديمة.
"وليست طريقًا إلى الشهرة..."
ثم إلى لاعب ينحني احترامًا لخصمه.
"إنها لغة يفهمها الجسد عندما تعجز الكلمات."
ارتفع الصوت أكثر.
"ولهذا..."
"لم يكن حامل الرخصة القتالية شخصًا قويًا فحسب..."
"بل شخصًا يحمل مسؤولية."
...
قطع الصوت فجأة.
حل مكانه صوت آخر...

حاد.
واضح.
يردد أسماءً.
"إيتو ريكو!"
"حاضر!"
"دايتشي كوروجاني!"
"حاضر!"
"سورا كانزاكي!"
"حاضر!"
تسارعت النداءات.
ومع آخر اسم...
استقرت الكاميرا أخيرًا.
طوكيو.
المكتب العالمي للفنون القتاليه.
في ساحة التدريب الواسعة، وقف ستة شبان بملابس التدريب البيضاء، مصطفين في خط مستقيم.
كانت وجوههم تحمل ملامح مختلفة...
لكن شيئًا واحدًا جمعهم جميعًا.
سبع سنوات من التعب.
وسبع سنوات من التدريب.
وسبع سنوات من انتظار هذه اللحظة.
...
المكتب العالمي للفنون القتالية
كان المبنى يقف شامخًا في قلب طوكيو، تحيط به ساحات واسعة وحدائق اعتني بها بعناية شديدة.
واجهته الحجرية البيضاء ارتفعت كأنها تحكي تاريخًا طويلًا من الانضباط والشرف، بينما توسطها شعار ضخم نُقش بدقة على الجدار.
المكتب العالمي للفنون القتالية.
لم يكن مجرد مبنى حكومي.
بل المكان الذي خرجت منه أجيال حملت مسؤولية الدفاع عن النفس، وحماية الآخرين، ونقل إرث الفنون القتالية إلى من بعدهم.
في هذا اليوم...
كان المكان مختلفًا.
امتلأت المدرجات بالمتفرجين.
أسر الخريجين.
الصحفيين.
مدربي المعاهد.
وأشخاص جاءوا فقط ليشهدوا يوم تخرج دفعة جديدة من حاملي الرخص القتالية.
في منتصف الساحة المستديرة...
وقف خمسة رجال مسنين، يرتدون زيًا رسميًا أسود تتوسطه شارة المكتب العالمية.
لم تكن هيبتهم بسبب مناصبهم.
بل بسبب السنين التي تركت آثارها على وجوههم.
الشعر الأبيض.
ونظراتهم الهادئة.
كل واحد منهم كان يومًا ما مقاتلًا يحمل الرخصة نفسها التي سيحملها الخريجون اليوم.
ساد الصمت.
تقدم أكبرهم سنًا خطوة واحدة إلى الأمام.
رفع بصره نحو المدرجات.
ثم قال بصوت هادئ، لكنه وصل إلى كل زاوية في المكان.
"الفنون القتالية..."
توقف لحظة.

"ليست رياضة."
"وليست وسيلة لإثبات التفوق."
"بل مسؤولية."
مرت لحظات من الصمت قبل أن يتابع.
"قدرة الإنسان على الدفاع عن نفسه، هي حق."
"أما قدرته على حماية غيره..."
"فهي شرف."
تبادل الحكام نظرات صامتة.
ثم أكمل الرجل.
"ولهذا، وضع المكتب العالمي للفنون القتالية نظام الرخص."
ظهرت خلفه شاشة كبيرة تحمل شعار المكتب.
"المستوى المبتدئ."
بدأ التصفيق يتردد في المدرجات.
"يُمنح لصاحبه حق الدفاع عن نفسه أمام شخص واحد."
انتقلت الشاشة إلى الرتبة التالية.
"المستوى البلاتيني."
"ويُصرح لحامله بالدفاع عن نفسه أمام ثلاثة أشخاص... وفي ظروف استثنائية أربعة."
ثم ظهرت الرتبة الثالثة.
ابتسم بعض الخريجين الواقفين في الساحة.
كانوا يعرفون جيدًا ما سيأتي.
ابتسم الحكم هو الآخر.
"المستوى المتقدم."
ساد هدوء خفيف.
"يُصرح لحامله بالدفاع عن نفسه أمام سبعة أشخاص... وفي ظروف استثنائية ثمانية."
ثم أضاف:
"ويحق له افتتاح مدرسة خاصة لتعليم الفنون القتالية، والعمل معلمًا معتمدًا."
تعالت موجة جديدة من التصفيق.
أما الخريجون...
فكانت أنظارهم معلقة بالرجل العجوز.
ينتظرون اللحظة التي ناضلوا سبع سنوات للوصول إليها.
ابتسم الحكم ابتسامة صغيرة...
ثم أنزل بصره نحو الأوراق التي يحملها بين يديه.
وقال بهدوء:
"والآن..."
"لنبدأ إعلان النتائج."
...
أغلق الحكم الملف الذي كان بين يديه برفق.
ثم فتح ملفًا آخر أكثر سماكة.
رفع رأسه نحو الحضور.
ابتسم ابتسامة هادئة.
وقال:
"لنبدأ..."
توقف لثانية.
"...بإعلان أسماء الناجحين."
ساد الهدوء.
ولم يعد يُسمع سوى صوت النسيم الذي مر فوق الساحة.
أنزل الحكم نظره إلى الورقة الأولى.
ثم نطق أول اسم.

"دايتشي كوروجاني."
من بين صفوف الخريجين...
تقدم شاب طويل القامة بخطوات ثابتة.
وقف أمام الحكم.
انحنى احترامًا.
فتقدم الحكم خطوة، وسلمه البطاقة المعدنية، ثم الشهادة.
صافحه قائلًا:
"تهانينا."
أجاب دايتشي بثبات:
"شكرًا لكم."
استدار.
ورفع البطاقة للحظة.
فانفجر التصفيق في المدرجات.
الاسم الثاني.
"ريكو هاياسي."
تكرر المشهد.
ثم...
"سورا كانزاكي."
ثم...
"هاروتو إيشيدا."
وأخيرًا...
"رين فوجيموتو."
خمسة أسماء...
خمسة خريجين...
خمسة مقاتلين حصلوا على الرخصة المتقدمة.
ارتفعت أصوات التصفيق والتهاني.
وفي الصف الأخير من الخريجين...
كان هناك شاب واحد فقط...
لم يُنادَ اسمه بعد.
نظر إليه أصدقاؤه.
ابتسم أحدهم وقال بصوت خافت:
"كما توقعت..."
ابتسم الآخر وهو يعقد ذراعيه.
"يبدو أنهم تعمدوا تركه للنهاية."
عاد الهدوء.
خفض الحكم رأسه.
أخذ الورقة التالية.
لكن...
توقفت يده.
تجمدت عيناه على السطر الأخير.
مرت ثانية.
ثم ثانية أخرى.
قطب حاجبيه.
رفع الورقة قليلًا.
ثم أنزلها.
نزع نظارته ببطء.
أخرج منديلًا أبيض من جيبه.
مسح العدستين بعناية.

وأعاد ارتداءها.
نظر مرة أخرى.
ثم...
ابتسم.
ابتسامة صغيرة.
تحولت إلى ضحكة خافتة.
ثم...
ضحكة أوضح.
نظر الحكام الأربعة الآخرون إليه باستغراب.
قال أحدهم بصوت منخفض:
"هل هناك خطأ؟"
هز رأسه ببطء.
ثم قال وهو لا يزال ينظر إلى الورقة:
"لا..."
"لا يوجد أي خطأ."
أغلق الملف برفق.
ثم رفع رأسه إلى المدرجات.
وأخذ نفسًا عميقًا.
كانت الابتسامة لا تزال على وجهه.
قال:
"يا للعجب..."
ضحك مرة أخرى.
"لم أكن أظن..."
"...أنني سأشهد هذا اليوم قبل أن أتقاعد."
بدأت الهمسات تنتشر بين الحضور.
"ماذا يحدث؟"
"هل رسب أحد؟"
"هل هناك مشكلة؟"
رفع الحكم يده.
فعاد الصمت.
ثم قال بصوت قوي:
"أيها الحضور..."
"قبل سنوات طويلة..."
"كان هناك لقب..."
توقف.
"...لا يُمنح إلا في حالات نادرة جدًا."
بدأ الفضول يملأ المدرجات.
وأكمل:
"لقب..."
"...اختفى مع مرور الزمن."
ساد الصمت.
حتى الرياح بدت وكأنها توقفت.
ثم...
قال الكلمة.
"المستوى النادر."
...
في لحظة واحدة...
انفجرت المدرجات بالضجيج.

وقف بعض الحضور من أماكنهم.
وتبادل آخرون النظرات بدهشة.
بينما صاح أحد الخريجين:
"مستحيل!"
ورفع آخر صوته:
"هل هذا اللقب ما زال موجودًا؟!"
ابتسم الحكم.
ورفع يده مرة أخرى.
عاد الهدوء تدريجيًا.
ثم قال:
"المستوى النادر..."
"...يُصرح لحامله بالدفاع عن نفسه أمام خمسة عشر شخصًا."
ساد الصمت.
هذه المرة...
لم يصفق أحد.
لم يتكلم أحد.
حتى أن بعض الصحفيين أنزلوا أقلامهم دون أن يشعروا.
ثم بدأت الهمسات...
"خمسة عشر؟"
"هذا غير منطقي."
"لا يمكن..."
"هل هذا إنسان أصلًا؟"
وفي تلك اللحظة...
نظر الحكم إلى الورقة الأخيرة.
ثم نطق الاسم.
بصوت واضح.
"سون...كين"
ساد الصمت من جديد.
ومن بين صفوف الخريجين...
بدأ شاب بالسير إلى الأمام.
بهدوء.
دون استعجال.
كانت خطواته ثابتة.
كتفاه مستقيمان.
يرتدي بنطالًا رياضيًا أسود.
وقميصًا أبيض بسيطًا.
جسده رياضي متناسق.
لا يبدو الأضخم...
لكنه بدا كصخرة صقلتها السنوات.
فهمس أحد الطلاب:
"أليس هذا... أسمر؟"
ابتسم آخر.
"نعم..."
"لا أحد يناديه باسمه الحقيقي."
توقفت خطواته أمام الحكم.
انحنى باحترام.
فابتسم الرجل العجوز.
وسلمه البطاقة أولًا.

ثم الشهادة.
وقال بصوت سمعه الجميع:
"اعتبارًا من هذا اليوم..."
"يُمنح سون... كين"
"...لقب."
رفع البطاقة أمام الحضور.
وكانت الكلمة المنقوشة عليها واضحة.
Kentru.
ساد الصمت...
لثانية واحدة فقط.
ثم دوى المكان بأصوات خمسة أشخاص يعرفونه أكثر من أي أحد.
"أسمر!"
"أسمر!!"
"أسمر!!!"
تعالت ضحكاتهم وتصفيقهم.
بينما اكتفى أسمر بابتسامة هادئة...
ثم انحنى للحكم مرة أخرى احترامًا.
دون أن يقول كلمة واحدة.
...
سبع سنوات... انتهت اليوم
دوى التصفيق في أرجاء الساحة.
وقف كثير من الحاضرين احترامًا للخريجين.
بينما بدأت عدسات المصورين تلتقط صورًا متتالية للحظة التخرج.
أعاد الحكم الملف إلى مكانه.
ثم تقدم خطوة إلى الأمام.
وقال بابتسامة هادئة:
"أبارك لكم جميعًا."
"اليوم..."
"لا ينتهي تدريبكم."
"بل يبدأ."
نظر إلى بطاقات الرخص التي يحملها الخريجون.
ثم تابع:
"البطاقة التي بين أيديكم..."
"لا تمنحكم القوة."
"بل تمنحكم مسؤولية استخدام ما تعلمتموه."
ساد الصمت.
ثم انحنى الحكام الخمسة معًا احترامًا للخريجين.
وهو أمر لم يكن يتوقعه أحد.
اتسعت أعين بعض الحاضرين.
فهمس أحد الآباء:
"إنهم... ينحنون لهم؟"
ابتسم رجل مسن كان يجلس بجانبه.
وقال:
"لا..."
"إنهم ينحنون للمسؤولية التي أصبحت على عاتقهم."
...
بدأ الخريجون ينحنون بدورهم.
واختلط التصفيق بالابتسامات.

وأعلن المذيع الرسمي:
"انتهاء مراسم التخرج."
في لحظة واحدة...
تحولت الساحة الهادئة إلى بحر من الأصوات.
آباء يعانقون أبناءهم.
أصدقاء يلتقطون الصور.
صحفيون يجرون مقابلات.
وأطفال يقلدون حركات القتال بحماس.
أما أسمر...
فما إن ابتعد عدة خطوات عن منصة التكريم...
حتى شعر بضربة قوية على كتفه.
التفت.
ليجد دايتشي يضحك بصوت عالٍ.
"ها أنت ذا أيها المشهور!"
وقبل أن يرد...
التف البقية حوله.
قال رين وهو يشير إلى البطاقة:
"دعني أراها!"
سحبها بسرعة.
ثم رفعها عاليًا.
"يا جماعة!"
"لدينا شخص مهم الآن!"
ضحك الجميع.
قفز هاروتو محاولًا انتزاع البطاقة.
لكن رين رفعها أكثر.
"ممنوع!"
"هذه قطعة متحف!"
انفجر الجميع ضاحكين.
حتى أسمر...
ابتسم أخيرًا.
ابتسامة بسيطة.
لكنها كانت صادقة.
اقترب سورا وربت على كتفه.
وقال:
"بصراحة..."
"كنت أعلم أنك ستحصل على شيء مختلف."
رفع أسمر حاجبيه.
"ولماذا؟"
ابتسم سورا.
"لأن المدربين كانوا دائمًا يراقبونك أكثر منا."
ضحك دايتشي.
"بل لأنك كنت توقظنا قبل الفجر كل يوم للتدريب!"
رد هاروتو بسرعة:
"لا..."
"كان يسحب أغطيتنا ويقول..."
ثم غيّر صوته مقلدًا أسمر:
"انهضوا... النوم لا يفوز بالبطولات."
انفجر الجميع بالضحك.

حتى المارة التفتوا إليهم.
هز أسمر رأسه مستسلمًا.
وقال وهو يبتسم:
"كنت أفعل ذلك لأنكم تتأخرون."
رد رين فورًا:
"ونحن كنا نكرهك بسبب ذلك."
توقف لثانية...
ثم ابتسم.
"...لكننا سنشتاق إليه."
ساد صمت قصير.
لأول مرة...
أدرك الستة...
أن سبع سنوات انتهت.
لن يجتمعوا كل صباح.
لن يسمعوا صفارة المدرب.
ولن يتشاركوا عناء التدريب اليومي.
قال دايتشي وهو يزفر ببطء:
"غريب..."
"كنت أعد الأيام حتى أتخرج..."
نظر إلى بوابة المكتب البعيدة.
ثم أكمل بابتسامة حزينة:
"...والآن لا أريد أن أغادر."
ابتسم أسمر وهو ينظر إلى المبنى.
وقال بهدوء:
"كل طريق ينتهي..."
"لكي يبدأ طريق آخر."
ساد الصمت ثانية.
لكن هذه المرة...
كان صمتًا مريحًا.
قطعته معدة هاروتو...
بصوت مرتفع.
نظر الجميع إليه.
ثم انفجروا بالضحك.
حك مؤخرة رأسه بخجل.
وقال:
"حسنًا..."
"الفلسفة جميلة..."
"...لكنني جائع."
ضحك دايتشي وقال:
"إذن..."
"لنحتفل."
رفع رين قبضته في الهواء.
"آخر احتفال قبل أن نصبح رجالًا مسؤولين!"
نظر الجميع إلى أسمر.
ابتسم.
وقال:
"هيا بنا."
غادر الستة الساحة...

وأصوات ضحكاتهم كانت أعلى من ضجيج المدينة.
...
بدأت أضواء المساء تكسو شوارع طوكيو.
ازدحمت الأرصفة بالمارة، بينما أخذت اللافتات المضيئة تتوهج واحدة تلو الأخرى.
توقفت المجموعة أمام حانة صغيرة تقع في أحد الأزقة الهادئة.
كانت واجهتها الخشبية القديمة تحمل آثار الزمن، بينما تدلت فوق الباب فانوسان يابانيان ينبعث منهما ضوء دافئ.
ابتسم دايتشي وهو يفتح الباب بقوة.
"اليوم..."
"...أنا من سيدفع!"
ضحك رين وهو يربت على كتفه.
"تقصد والدك هو من سيدفع."
انفجر الجميع بالضحك.
رد دايتشي متظاهرًا بالغضب.
"حتى لو كان ذلك صحيحًا..."
"...لا تفسدوا اللحظة!"
دخل الستة إلى الداخل.
استقبلهم صاحب الحانة بابتسامة واسعة.
كان رجلًا تجاوز الخمسين بقليل.
بمجرد أن رأى زي التخرج...
صفق بيديه.
"مبروك أيها الشباب!"
انحنوا جميعًا احترامًا.
قادهم الرجل إلى طاولة خشبية كبيرة في الزاوية.
وما إن جلسوا...
حتى بدأ الجميع يتحدث في الوقت نفسه.
كأن سبع سنوات من الذكريات قررت أن تخرج دفعة واحدة.
قال هاروتو وهو يشير إلى أسمر.
"لنبدأ بأهم سؤال."
نظر الجميع إليه.
ابتسم بخبث.
"هل ستشرب اليوم؟"
نظر أسمر إلى الكؤوس التي وضعها النادل على الطاولة.
ثم هز رأسه مبتسمًا.
"تعرفون إجابتي."
تذمر رين.
"مرة واحدة فقط!"
أجابه أسمر بهدوء.
"قلت لكم منذ السنة الأولى..."
"لا أحب الكحول."
تنهد دايتشي.
"كنت أعلم."
أخذ أحد الكؤوس...
وأبعده عن أسمر.
ثم رفع يده نحو النادل.
"لو سمحت..."
"كأس عصير برتقال لهذا الرجل."
نظر الجميع إليه باستغراب.
ابتسم.

"بعد سبع سنوات..."
"...هل ما زلتم تظنون أنني لا أعرفه؟"
وصل العصير بعد لحظات.
أمسك أسمر الكأس.
نظر إلى أصدقائه.
ثم قال بابتسامة هادئة.
"شكرًا."
رفع الجميع كؤوسهم.
قال دايتشي بصوت مرتفع.
"إلى سبع سنوات..."
قال رين.
"...لن ننساها."
وأضاف سورا.
"وإلى الأيام القادمة."
أما أسمر...
فاكتفى بقوله.
"وإلى أن يبقى كل واحد منكم بخير."
ارتطمت الكؤوس ببعضها.
وامتلأت الطاولة بالضحكات.
مرت الساعات سريعًا.
بدأت الأطباق تفرغ.
والقصص تصبح أكثر غرابة.
قال هاروتو وهو يضحك.
"هل تتذكرون أول يوم تدريب؟"
نظر الجميع إلى رين.
فورًا...
انفجروا بالضحك.
رفع رين يديه مستسلمًا.
"حسنًا... حسنًا..."
"نعم..."
"أنا الوحيد الذي فقد وعيه بعد عشر دقائق."
ضحك دايتشي حتى دمعت عيناه.
"وعندما استيقظ..."
"...سأل المدرب إن كان التدريب قد بدأ!"
انفجر الجميع مرة أخرى.
أما أسمر...
فضحك هذه المرة بصوت مسموع.
توقف الجميع للحظة.
نظروا إليه بدهشة.
قال سورا مبتسمًا.
"من الجيد..."
"...أن نراك تضحك هكذا."
هز أسمر رأسه بخجل.
"أنتم السبب."
...
بعد ساعة أخرى...
كان دايتشي يضع ذراعه فوق كتف رين وهو يغني بصوت لا يشبه الغناء إطلاقًا.
بينما كان هاروتو يحاول إقناع صاحب الحانة بأنه يستطيع الوقوف على كرسي بقدم واحدة.

صرخ صاحب الحانة من بعيد.
"إياك!"
لكن...
بعد ثانية واحدة فقط...
سقط هاروتو على الأرض.
ساد الصمت.
ثم رفع يده من على الأرض وقال:
"أنا بخير..."
"...الأرض هي التي هاجمتني."
لم يتمالك أحد نفسه.
حتى صاحب الحانة انفجر ضاحكًا.
أما أسمر...
فكان يمسك بكأس العصير.
ينظر إلى أصدقائه.
ويبتسم بصمت.
في داخله...
كان يعرف...
أن هذه الليلة...
لن تتكرر أبدًا.
خرج الستة من الحانة بعد منتصف الليل.
الهواء البارد استقبلهم بهدوء.
كان رين ودايتشي يسندان هاروتو الذي لم يعد قادرًا على السير مستقيمًا.
قال دايتشي ضاحكًا.
"غدًا..."
"...لن يتذكر شيئًا."
رد هاروتو فورًا.
"بل سأتذكر..."
ثم توقف.
"...على الأرجح."
ضحك الجميع.
وقفوا عند مفترق الطرق.
صافح كل واحد الآخر.
وتبادلوا العناق.
قال سورا وهو ينظر إلى أسمر.
"لا تختفِ طويلًا."
ابتسم أسمر.
"أنتم أيضًا."
غادر كل واحد في اتجاه.
وبقي أسمر وحده في الشارع.
رفع يديه خلف رأسه.
ونظر إلى السماء.
ثم قال لنفسه بابتسامة هادئة:
"آه..."
"مر وقت طويل..."
"...منذ زرت الحي القديم."
استدار...
وسار في هدوء.
بينما كانت أضواء طوكيو تمتد أمامه.

...
كان الليل قد بدأ يمد عباءته فوق المدينة.
اختفت حرارة النهار، وحل محلها نسيم لطيف يداعب الأشجار الممتدة على جانبي الطريق.
سار أسمر بخطوات هادئة.
كلما ابتعد عن مركز طوكيو...
خف ضجيج السيارات.
واختفت المباني الشاهقة.
وحلت محلها منازل متوسطة الحجم، تتجاور في هدوء.
توقف أمام لافتة صغيرة كُتب عليها اسم الحي.
ابتسم...
وقال بصوت خافت:
"لم يتغير شيء..."
ثم دخل.
...
كان الحي ينبض بالحياة.
طفلان يركضان خلف كرة مطاطية.
رجل مسن يسقي نباتاته أمام منزله.
امرأة تنشر الملابس بينما تنادي أبناءها للعودة إلى الداخل.
وفي الزاوية...
وقف متجر صغير تملأ واجهته صناديق الفواكه والخضروات.
وما إن اقترب أسمر...
حتى صاح صوت مألوف.
"هاه؟!"
رفع صاحب المتجر رأسه.
اتسعت عيناه.
ثم خرج مسرعًا.
"أسمر!"
لم يمهله فرصة للرد.
احتضنه بقوة.
وضرب ظهره ضربة خفيفة.
"أين اختفيت أيها الشاب؟!"
ضحك أسمر.
"الدراسة لا ترحم."
هز الرجل رأسه ساخرًا.
"سبع سنوات وأنت تقول الدراسة!"
رد أسمر مبتسمًا.
"لكنني عدت."
ابتسم الرجل.
وأشار إلى صندوق من التفاح.
"خذ."
لوح أسمر بيده.
"سأدفع."
قطب الرجل حاجبيه.
"هل أصبحت غريبًا عنا؟"
ضحك أسمر.
"إذن... واحدة فقط."
ناول الرجل تفاحة حمراء كبيرة.
"هذه هدية النجاح."

انحنى أسمر احترامًا.
"شكرًا."
...
وقبل أن يكمل طريقه...
قفز طفل صغير أمامه.
"أسمر!"
توقف.
نظر إليه.
ثم ابتسم.
"يوتا!"
قال الطفل بحماس.
"انظر!"
أخرج من جيبه طائرة ورقية صغيرة.
"صنعتها وحدي!"
أخذها أسمر بين يديه.
تفحصها بعناية.
ثم قال بإعجاب حقيقي.
"عمل رائع."
انتفخ صدر الطفل فخرًا.
"حقًا؟"
هز أسمر رأسه.
"لكن..."
وأشار إلى أحد الأجنحة.
"لو جعلته أطول قليلًا..."
"...ستطير لمسافة أكبر."
فتح الطفل عينيه بدهشة.
"حقًا؟!"
ابتسم أسمر.
"جرب."
ركض الطفل نحو منزله وهو يصرخ.
"أمي!"
"أسمر قال إن طائرتي ممتازة!"
ضحك أسمر بصوت خافت.
...
تابع السير.
كان كل بضعة أمتار...
يتوقف ليسلم على أحد.
عامل المخبز.
صاحب محل الدراجات.
الجدة التي كانت تجلس دائمًا أمام منزلها.
كلهم كانوا يعرفونه.
وكلهم ينادونه...
"أسمر."
...
اقترب من حديقة صغيرة.
جلس على أحد المقاعد الخشبية.
أخذ نفسًا عميقًا.
وأغمض عينيه للحظة.

كانت أصوات الأطفال تملأ المكان.
ضحكاتهم.
ركضهم.
وصراخهم البريء.
فتح عينيه.
وراقبهم بصمت.
ثم ابتسم.
وقال لنفسه:
"لهذا..."
"...أريد أن أصبح معلمًا."
"ليس لأشرح الرياضيات فقط..."
"بل لأصنع جيلًا..."
"...يعرف متى يستخدم قوته."
...
رن جرس ساعة المعبد القريب.
رفع أسمر رأسه.
نظر إلى ساعته.
"تأخر الوقت..."
نهض من المقعد.
وأدار ظهره للحديقة.
لكن قبل أن يبتعد...
توقف.
استدار مرة أخيرة.
نظر إلى الحي كله.
إلى الأطفال.
إلى المتاجر.
إلى البيوت.
إلى الوجوه التي عرفها منذ صغره.
ابتسم.
ثم أكمل طريقه.
...
خرج أسمر من الحي القديم.
كانت الشوارع أكثر هدوءًا من قبل.
أخذ يسير ببطء، يداه في جيبي بنطاله، بينما كان يتأمل أضواء المدينة.
تنهد مبتسمًا.
"لم يتغير الحي..."
ثم نظر إلى ساعته.
"يبدو أن علي العودة."
استدار متجهًا نحو محطة الحافلات.
لكن...
قبل أن يصل إليها...
لفت انتباهه صوت بكاء.
لم يكن مرتفعًا.
بل بكاء مكتوم...
يحاول صاحبه إخفاءه.
توقف.
التفت نحو مصدر الصوت.
على مقعد إسمنتي قريب...

جلست امرأة تحتضن طفلًا في العاشرة من عمره تقريبًا.
كان رأسه مستندًا إلى كتفها.
وعيناه نصف مغمضتين.
يتنفس بصعوبة.
إلى جانبها وقف رجل في منتصف الأربعينيات.
ملابسه بسيطة.
وحذاؤه يحمل آثار السفر الطويل.
كان ينظر حوله بعجز...
كأنه يبحث عن حل لا يجده.
اقترب أسمر بخطوات هادئة.
وقال باحترام:
"هل كل شيء بخير؟"
رفع الرجل رأسه بسرعة.
وبدت عليه الحيرة قبل أن يجيب.
"ابني..."
نظر إلى الطفل.
"...مريض منذ أشهر."
خفض بصره إلى الأرض.
"جئنا من الريف..."
"قالوا إن مستشفيات العاصمة أفضل."
سعل الطفل فجأة.
فأسرعت الأم تمسح العرق عن جبينه.
سأل أسمر بهدوء:
"هل ذهبتم إلى المستشفى؟"
هز الرجل رأسه.
"قالوا إن علينا التوجه إلى مستشفى خاص أولًا..."
تردد قليلًا.
"...لكننا لا نملك المال الكافي."
ساد الصمت للحظة.
نظر أسمر إلى الطفل.
ثم إلى الأم.
ثم عاد ينظر إلى الأب.
وقال ببساطة:
"تعالوا."
رفع الأب رأسه باستغراب.
"ماذا؟"
ابتسم أسمر.
"لن أترك طفلًا مريضًا يجلس هنا."
أسرعت الأم تمسح دموعها.
بينما ظل الأب ينظر إليه غير مصدق.
قال بصوت مبحوح:
"لكن..."
قاطعه أسمر بلطف.
"لنناقش أي شيء بعد أن يصل إلى الطبيب."
انحنى أمام الطفل.
وقال مبتسمًا:
"هل تسمح لي؟"
فتح الطفل عينيه بصعوبة.

ونظر إليه.
ثم أومأ برأسه بخفة.
حمله أسمر بحذر بين ذراعيه.
كان الطفل خفيف الوزن...
على نحو أقلق أسمر.
لكن ملامحه بقيت هادئة.
التفت نحو الوالدين.
وقال:
"هيا."
بدأ الأربعة يسيرون معًا.
في طريقهم إلى المستشفى.
ابتعدت الكاميرا ببطء.
حتى أصبحوا مجرد أربعة أشخاص...
يسيرون وسط مدينة مزدحمة...
...
يتبع...

الحلقه : ٢ "الطريق إلى الحياة"

كانت قطرات المطر تتساقط بخفة فوق شوارع طوكيو.
حمل سون كين الطفل بين ذراعيه بثبات، بينما كانت الأم تسير بجانبه تحاول أن تقي ابنها من المطر بيديها، أما الأب فكان يسبقهم بخطوات ثم يلتفت كل لحظة بقلق.
قطع الأب الصمت أخيرًا.
"إلى أين سنذهب يا بني؟"
أجاب سون كين وهو يواصل السير:
"إلى أقرب مستشفى."
نظر الأب حوله.
"وهل يوجد واحد قريب؟"
ابتسم سون كين ابتسامة هادئة.
"نعم... يوجد مستشفى حكومي على بعد دقائق فقط."
تنهد الأب وكأن حملًا خفيفًا أزيح عن صدره.
"اااه..."
ازدادت زخات المطر.
ابتلت ملابس سون كين بالكامل، لكن قبضته على الطفل لم تهتز.
كانت أنفاس الصغير ضعيفة، تكاد لا تُسمع.
نظر إليه سون كين للحظة، ثم أسرع قليلًا.
"اصبر... سنصل."
...
بعد دقائق...
ظهرت أضواء المستشفى وسط المطر.
مبنى كبير تحيط به سيارات الإسعاف، بينما كان باب الطوارئ يفتح ويغلق باستمرار.
وما إن دخل سون كين...
حتى انتبه إليه أحد الممرضين.
"حالة طارئة!"
ركض ممرضان آخران، وأحضرت ممرضة سريرًا متحركًا.
سأل أحدهم بسرعة:
"ماذا حدث له؟"
وضع سون كين الطفل على السرير برفق.
"لا أعرف... لكنه مريض، وحالته تزداد سوءًا."
لم يطرحوا مزيدًا من الأسئلة.
دفعوا السرير بسرعة نحو الداخل.
وتبعهم الأب والأم بخطوات متوترة.
لكن...
ما إن وصلوا إلى مكتب الاستقبال...
حتى توقف السرير.
نظر الموظف إلى الشاشة أمامه.
ثم قال ببرود:
"بيانات المريض."
بدأ الأب يجيب.
الاسم...
العمر...
مكان السكن...
أخذ الموظف يدوّن كل شيء.
ثم أغلق الدفتر.

وقال:
"رسوم الفحص الأولي."
في تلك اللحظة...
نظر سون كين إلى ملابسه المبتلة.
وقال للأب:
"سأذهب لأجفف ملابسي قليلًا... سأعود بعد دقائق."
أومأ الأب برأسه شاكرًا.
وغادر سون كين نحو دورة المياه.
...
أخرج الأب محفظته القديمة.
فتحها ببطء.
لم يكن بداخلها...
إلا بضع أوراق نقدية.
وضعها أمام الموظف.
تغيرت ملامح الرجل.
عدّ المال مرة.
ثم مرة أخرى.
رفع رأسه.
"هذا لا يكفي."
ابتسم الأب باعتذار.
"أعلم..."
"لكنني سأجمع الباقي خلال أيام."
أعاد الموظف المال إليه.
"هذا ليس ممكنًا."
تدخلت الأم بصوت مرتجف.
"أرجوكم..."
"ابدؤوا العلاج... وسندفع كل شيء."
هز الموظف رأسه.
"هذه هي التعليمات."
ساد الصمت.
ثم قال الأب بصوت خافت:
"ابني..."
"قد لا يحتمل الانتظار."
تنهد الموظف.
ثم أشار إلى الباب.
"إذا لم تتمكنوا من الدفع..."
"...فلن نستطيع استقبال الحالة."
اتسعت عينا الأم.
أما الأب...
فظل واقفًا في مكانه لثوانٍ.
وكأنه لم يستوعب ما سمع.
ثم...
انحنى ببطء.
"أرجوكم..."
"أنقذوا ابني."
لم يرد أحد.
بقي الموظفون ينظرون إليه بصمت بارد.
أغمض الأب عينيه.

نهض.
ومد يديه نحو ابنه...
ليحمله من جديد.
...
وقف الأب بصمت.
يداه ترتجفان وهو يعيد الأوراق النقدية القليلة إلى محفظته.
أغلقها ببطء...
وكأنها أصبحت أثقل من أن يحملها.
اقترب من سرير ابنه.
نظر إلى وجهه الشاحب.
ثم ابتسم ابتسامة مكسورة.
"هيا يا بني..."
"سنجد مكانًا آخر."
اقتربت الأم وهي تكتم دموعها.
ساعدته في حمل الطفل.
وقبل أن يغادرا...
توقفت إحدى الممرضات للحظة.
بدت وكأنها تريد أن تقول شيئًا.
لكن الموظف المسؤول نظر إليها.
فاكتفت بخفض رأسها.
خرجت الأسرة من باب المستشفى.
وأغلق الباب الزجاجي خلفهم.
...
ساد الصمت لثوانٍ.
ثم قال أحد الموظفين وهو يرتب الأوراق:
"اليوم أصبح هذا ثالث مريض."
رد آخر وهو يتنهد:
"ولو سمحنا لكل من لا يملك المال بالدخول..."
"...فلن يبقى لدينا مستشفى."
ضحكت ممرضة أخرى ضحكة قصيرة.
"ثم سيقولون إننا لا نحترم النظام."
قال الموظف الأول وهو يهز كتفيه:
"هذه ليست الجمعيه الخيرية."
ساد صمت قصير.
ثم عاد الجميع إلى أعمالهم...
وكأن شيئًا لم يحدث.
...
في الجهة الأخرى...
فتح سون كين باب دورة المياه.
كانت ملابسه لا تزال رطبة.
نظر إلى نفسه في المرآة.
ثم تنهد مبتسمًا.
"يبدو أن المطر ربح هذه الجولة."
أخذ منشفة ورقية.
جفف شعره قليلًا.
ثم خرج.
ما إن اقترب من الاستقبال...
حتى توقف.

نظر حوله.
لم يجد الأسرة.
ولا الطفل.
قطب حاجبيه.
"غريب..."
تقدم نحو الموظفة.
"أين الأسرة التي كانت هنا قبل قليل؟"
أجابت دون أن ترفع رأسها:
"غادرت."
تجمد في مكانه.
"غادرت؟"
"لماذا؟"
لم تجب.
وفي تلك اللحظة...
وصل إلى سمعه صوت أحد الموظفين وهو يقول لزميله:
"إن لم يكن معهم المال..."
"...فليذهبوا إلى مكان آخر."
ساد الصمت.
تغيرت ملامح سون كين.
التفت ببطء.
نظر إلى الموظفين.
لم يقل كلمة.
ثم استدار فجأة...
وركض نحو الباب.
اندفع إلى الخارج.
استقبله المطر من جديد.
لكن هذه المرة...
لم يشعر به.
كانت عيناه تبحثان في كل اتجاه.
بين السيارات.
وعند موقف الحافلات.
وعلى الأرصفة.
"أين ذهبوا...؟"
ركض عدة أمتار.
ثم...
لمح الأب.
كان يحمل ابنه بصعوبة.
والأم تقف بجانبه.
بينما كانت الحافلة قد وصلت للتو.
رفع سون كين يده.
وصاح بأعلى صوته:
"أيها السيد!"
التفت الأب.
اتسعت عيناه.
أما الحافلة...
فأغلقت أبوابها.
وانطلقت ببطء.
ركض سون كين حتى وصل إليهم.

كان يلتقط أنفاسه.
لكن أول ما قاله كان:
"لماذا خرجتم؟"
نظر الأب إليه بصمت.
ثم ابتسم ابتسامة متعبة.
وقال:
"لا تقلق يا بني..."
"سنبحث عن مستشفى آخر."
ظل سون كين ينظر إليه.
ثم إلى الطفل.
ثم إلى الأم.
وفهم...
أن الحقيقة...
لم تُقل له كاملة بعد.
...
"لا تذهبوا."
كان الأب لا يزال ينظر إلى الحافلة التي ابتعدت.
أما سون كين...
فكانت عيناه معلقتين بوجه الطفل.
تنفسه أصبح أضعف من قبل.
رفع بصره نحو الأب.
وقال بهدوء:
"تعالوا."
نظر الأب إليه باستغراب.
"إلى أين؟"
أشار سون كين إلى المقاعد الموجودة أمام المستشفى.
"لنجلس دقيقة."
...
جلس الأربعة تحت مظلة صغيرة.
كان صوت المطر يضرب سقفها المعدني بإيقاع هادئ.
ساد الصمت.
قطع سون كين الصمت أولًا.
"لماذا لم تدخلوا إلى الطبيب؟"
ابتسم الأب ابتسامة متعبة.
"لا نملك المال الكافي."
قالها ببساطة...
دون شكوى.
ودون غضب.
تابع حديثه وهو ينظر إلى ابنه.
"لا بأس..."
"سنبحث عن مكان آخر."
ثم التفت إلى سون كين.
وانحنى له قليلًا.
"لكن..."
"شكرًا لك."
"يكفي أنك حملت ابني كل هذه المسافة."
"وجود شباب مثلك..."
ابتسم ابتسامة صغيرة.

"...يجعلني أشعر أن الدنيا ما زال فيها خير."
...
ساد الصمت.
لم يجب سون كين.
ظل ينظر إلى الطفل.
ثم إلى باب المستشفى.
ثم عاد ينظر إلى الأب.
تغيرت ملامحه.
ونهض.
وقال بصوت هادئ...
لكنه حاسم.
"لن تذهبوا."
رفع الأب رأسه.
"ماذا؟"
اقترب سون كين من الطفل.
وحمله مرة أخرى بين ذراعيه.
ثم استدار نحو المستشفى.
وقال:
"تعالوا معي."
...
فتح الباب الزجاجي بقوة.
التفتت جميع الأنظار نحوه.
ركض أحد الممرضين تلقائيًا.
لكن...
ما إن رأى الطفل...
ورأى الأسرة نفسها...
حتى تباطأت خطواته.
اقترب سون كين منه.
وقال بلهجة ثابتة.
"أحضروا سريرًا."
نظر الممرض إلى موظف الاستقبال.
كأنه ينتظر موافقته.
في تلك اللحظة...
ارتفع صوت سون كين لأول مرة.
"قلت..."
"أحضروا سريرًا."
ساد الصمت.
لم يكن صراخًا غاضبًا.
بل صوتًا...
لا يقبل النقاش.
ارتبك الممرض.
ثم ركض مسرعًا.
وخلال ثوانٍ...
وصل السرير المتحرك.
وُضع الطفل عليه.
واندفع به الممرضون نحو الداخل.
...
أما سون كين...

فاتجه مباشرة إلى مكتب الاستقبال.
وقف أمام الموظفة.
نظرت إليه.
ثم خفضت رأسها.
قال بهدوء:
"كم رسوم الفحص؟"
أخبرته بالمبلغ.
أخرج محفظته.
وعدّ الأوراق النقدية.
وضع المبلغ كاملًا على الطاولة.
ثم أضاف مبلغًا آخر.
رفعت الموظفة رأسها باستغراب.
قال:
"وهذا..."
"لتكاليف العلاج و الادويه."
لم تنطق بكلمة.
أما الأب...
فبقي واقفًا مكانه.
وعيناه متسعتان من الصدمة.
الأم وضعت يدها على فمها.
لم تستطع إخفاء دموعها.
...
رفع سون كين نظره إلى الموظفين.
وقال بهدوء شديد:
"قبل قليل..."
"سمعت ما دار هنا."
ساد الصمت.
لم يجرؤ أحد على النظر في عينيه.
أكمل:
"هذا المكان..."
نظر حوله.
"...وُجد لإنقاذ الناس."
ثم نظر إلى الموظفة مباشرة.
"اعتنوا به جيدًا."
صمت لحظة.
ثم أكمل بنبرة منخفضة...
لكنها كانت أشد وقعًا من الصراخ.
"أتمنى ألا أضطر لتكرار طلبي."
ساد صمت ثقيل.
ثم انحنت الموظفة قليلًا.
"سنفعل."
...
في تلك اللحظة...
خرج طبيب الطوارئ من الممر.
نظر إلى الملف بسرعة.
ثم قال للممرضين:
"أدخلوه إلى غرفة الطوارئ."
واختفى السرير خلف الأبواب البيضاء.

بقي الأربعة...
ينظرون إليها في صمت.
...
أُغلقت أبواب غرفة الطوارئ.
وبقيت الأسرة واقفة أمامها.
لم يعد يُسمع سوى صوت المطر في الخارج...
وساعة كبيرة معلقة على الجدار.
كان عقرب الثواني يتحرك ببطء...
حتى بدا وكأنه يطيل الانتظار عمدًا.
جلس سون كين على أحد المقاعد.
وأشار إلى الأب والأم.
"اجلسا."
تردد الأب قليلًا.
ثم جلس بجانبه.
أما الأم...
فبقيت واقفة.
وعيناها معلقتان بباب غرفة الطوارئ.
...
مرت عدة دقائق.
لم يتحدث أحد.
حتى قطع الأب الصمت.
"يا بني..."
التفت إليه سون كين.
قال الرجل بصوت منخفض:
"لا أعرف كيف أرد لك هذا الجميل."
ابتسم سون كين ابتسامة بسيطة.
"لا يوجد جميل."
هز الأب رأسه.
"بل يوجد."
"أنت لا تعرفنا."
"ولم تكن مضطرًا لفعل كل هذا."
نظر سون كين إلى الأرض قليلًا.
ثم قال:
"لو كنت مكانك..."
رفع عينيه إليه.
"...لتمنيت أن يساعدني أحد."
ساد الصمت.
أطرق الأب رأسه.
ثم...
وقف فجأة.
واتجه نحو سون كين.
وقبل أن يدرك الأخير ما ينوي فعله...
ركع الأب على ركبتيه.
"شكرًا لك."
اتسعت عينا سون كين.
نهض بسرعة.
وأمسك الرجل من كتفيه.
ورفعه بلطف.

"لا..."
قالها بهدوء.
ثم ابتسم.
"لا تنحنِ لي."
"أنا لم أفعل سوى ما يجب على أي إنسان أن يفعله."
نظر الأب إليه طويلًا.
ثم أطرق رأسه مرة أخرى...
لكن هذه المرة واقفًا.
...
جلست الأم أخيرًا.
كانت تمسح دموعها بصمت.
قالت بصوت خافت:
"منذ أن وصلنا إلى طوكيو..."
"لم ينظر إلينا أحد كما نظرت أنت."
لم يجد سون كين جوابًا.
فاكتفى بابتسامة خفيفة.
...
وفجأة...
انفتح باب غرفة الطوارئ.
خرج الطبيب.
خلع القناع الطبي عن وجهه.
تقدم نحو الأسرة.
وقف الجميع في لحظة واحدة.
قال الطبيب:
"أجرينا الفحوصات الأولية."
نظر إلى الطفل من خلف الزجاج.
ثم أكمل:
"حالته معقدة..."
"لكنه لا يزال على قيد الحياة."
تنفست الأم بارتياح.
بينما أغلق الأب عينيه للحظة، وكأنه يشكر السماء.
تابع الطبيب:
"سنحتاج إلى نقله لإجراء فحوصات وعلاج أكثر دقة."
"وسنبقيه تحت المراقبة."
أومأ الأب بسرعة.
"افعلوا كل ما يلزم."
أجاب الطبيب:
"سنفعل."
ثم عاد إلى الداخل.
...
نظر الأب إلى سون كين.
ابتسم.
لكن هذه المرة...
كانت ابتسامة مليئة بالأمل.
أما سون كين...
فنظر إلى ساعته.
تجمد لثانية.
الحادية عشرة وخمس وخمسون دقيقة ليلًا.

اتسعت عيناه قليلًا.
وقال في نفسه:
"تأخرت..."
نهض بهدوء.
والتفت إلى الأسرة.
"أعتقد أن ابنتكم..." ثم ابتسم وصحح نفسه سريعًا.
"أقصد... ابنكم أصبح بين أيدٍ أمينة الآن."
ابتسم الأب.
"بفضلك."
هز سون كين رأسه.
"بل بفضل الأطباء."
ثم انحنى لهما احترامًا.
"أتمنى أن يتماثل للشفاء."
استدار.
وسار نحو باب المستشفى.
وفي اللحظة التي فتح فيها الباب...
استقبله هواء الليل البارد.
نظر إلى السماء.
لقد توقف المطر.
تنهد.
ثم قال وهو ينظر إلى ساعته مرة أخرى:
"ياله من وقت..."
"يجب أن أعود إلى المنزل بسرعة."
وانطلق مسرعًا خارج المستشفى.
...
انطلقت خطوات سون كين فوق الأرصفة المبتلة.
كان الليل قد تجاوز منتصفه تقريبًا.
أخرج يده من جيبه.
نظر إلى الساعة مرة أخرى.
الحادية عشرة وثمانٍ وخمسون دقيقة.
ابتسم بخجل.
"أمي ستقتلني..."
زاد من سرعته.
وصل إلى الشارع الرئيسي.
لكن...
لم يكن هناك أثر للحافلات.
نظر يمينًا.
ثم يسارًا.
"انتهت..."
تنهد.
وفي تلك اللحظة...
مرّت سيارة أجرة.
رفع يده بسرعة.
"من فضلك!"
ضغط السائق على المكابح.
وتوقفت السيارة بجانبه.
فتح الباب الخلفي.
ودخل وهو يلتقط أنفاسه.

ابتسم السائق من خلال المرآة.
"ليلة طويلة؟"
ابتسم سون كين.
"طويلة جدًا."
"إلى أين؟"
ذكر عنوان المنزل.
هز السائق رأسه.
وانطلقت السيارة.
...
كانت شوارع طوكيو أكثر هدوءًا الآن.
المحلات أغلقت أبوابها.
والمارة أصبحوا قلة.
جلس سون كين ينظر من نافذة السيارة.
انعكست أضواء المدينة على الزجاج.
واستعاد في ذهنه أحداث اليوم.
التخرج.
أصدقاؤه.
الاحتفال.
الطفل.
المستشفى.
تنهد.
ثم ابتسم ابتسامة صغيرة.
"يوم... لا يُنسى."
...
توقفت السيارة أمام مبنى سكني متوسط الارتفاع.
أخرج سون كين أجرته.
قدمها للسائق.
انحنى احترامًا.
"شكرًا."
أجابه السائق مبتسمًا:
"عد إلى المنزل سالمًا."
أغلق الباب.
وركض نحو مدخل المبنى.
...
دخل إلى الردهة.
ثم بدأ يصعد الدرج بسرعة.
في الطابق الثاني...
فُتح أحد الأبواب.
خرج رجل مسن يحمل كيس قمامة.
ما إن رأى سون كين...
حتى ابتسم.
"أهذا أنت يا كين؟"
توقف سون كين.
وانحنى احترامًا.
"مساء الخير، عم يامادا."
ضحك الرجل.
"أي مساء؟"
"لقد أصبح الليل في آخره."

ابتسم سون كين بخجل.
"انشغلت قليلًا."
خرجت زوجة الرجل من الشقة.
"كين!"
"مر وقت طويل."
انحنى مرة أخرى.
"كيف حالكما؟"
قالت مبتسمة:
"نحن بخير."
ثم نظرت إلى ملابسه.
"لكنك مبتل بالكامل!"
نظر إلى قميصه.
وضحك.
"المطر سبقني."
قال الرجل وهو يربت على كتفه.
"والداك ينتظرانك منذ ساعات."
اتسعت عينا سون كين.
"إذن سأصعد بسرعة."
لوحت له السيدة بيدها.
"لا تنس زيارتنا عندما تستقر."
ابتسم.
"أعدكما."
أكمل صعوده.
...
وصل إلى الطابق الرابع.
توقف أمام الباب.
أخذ نفسًا عميقًا.
ثم ضغط على الجرس.
رن الجرس في الداخل.
انتظر.
سمع خطوات بطيئة تقترب.
ثم...
فُتح الباب.
وقفت امرأة في الثالثة والخمسين من عمرها.
نظرت إليه.
وضيقت عينيها.
وقالت باستغراب:
"نعم؟"
حبس سون كين ضحكته.
ولم ينطق.
نظرت إليه مرة أخرى.
ثم تمتمت:
"لحظة..."
عادت إلى الداخل.
وبعد ثوانٍ...
رجعت وهي تضع نظارتها.
رفعت رأسها.
حدقت في وجهه.

اتسعت عيناها.
وضعت يدها على فمها.
"كين...؟"
لم يستطع هذه المرة أن يمنع ابتسامته.
"عدت يا أمي."
امتلأت عيناها بالدموع.
ثم أسرعت نحوه.
واحتضنته بقوة.
أغمض سون كين عينيه.
ورد العناق بهدوء.
وقال ضاحكًا:
"اشتقت إليك."
ابتعدت قليلًا.
وضربت كتفه ضربة خفيفة.
"الأحمق..."
"هل هكذا يزور الابن أمه بعد سنتين؟"
ضحك سون كين.
"أعرف..."
"وأنا أستحق التوبيخ."
ابتسمت رغم دموعها.
ثم أمسكت بيده.
"ادخل..."
"لقد تأخرت كثيرًا."
...
ما إن أغلق سون كين الباب خلفه...
حتى دوّى صوت رجل من داخل المنزل.
"هاروكو؟"
"من الطارق في هذا الوقت؟"
أجابت الأم وهي تمسح دموعها سريعًا:
"تعال وانظر بنفسك."
ساد صمت قصير.
ثم سُمعت خطوات ثقيلة تقترب.
وفجأة...
ظهر رجل في الستين من عمره.
كان يحمل بندقية صيد على كتفه، وقد بدا أنه خرج بها على عجل بعدما سمع صوت الباب.
نظر إلى سون كين لثانية.
قطّب حاجبيه.
ثم قال بجدية:
"من أنت؟"
لم يتمالك سون كين نفسه.
وانفجر ضاحكًا.
أنزل الرجل البندقية ببطء.
حدق في وجه الشاب مرة أخرى.
ثم اتسعت عيناه.
"كين...؟"
ابتسم سون كين.
"عدت يا أبي."
في لحظة واحدة...

اختفت ملامح الجدية.
وابتسم الرجل ابتسامة واسعة.
وضع البندقية جانبًا.
ثم تقدم بخطوات سريعة.
واحتضن ابنه بقوة.
ربت على ظهره أكثر من مرة.
وقال وهو يضحك:
"أخيرًا تذكرت أن لك بيتًا!"
ضحك سون كين.
"كنت مشغولًا بالدراسة."
ابتعد الأب قليلًا.
ونظر إليه من رأسه حتى قدميه.
"نحفت."
رد سون كين فورًا:
"بل أنت من كبر في العمر."
نظر الأب إلى زوجته.
وأشار إلى ابنه.
"هل سمعتي؟"
"عاد ليهين والده!"
انفجرت الأم ضاحكة.
أما سون كين...
فرفع يديه مستسلمًا.
"حسنًا... أنا المخطئ."
ضحك الثلاثة.
وامتلأ المنزل بالحياة من جديد.
...
جلسوا في غرفة المعيشة.
كانت كما تركها منذ سنوات.
الصور العائلية معلقة على الجدار.
وساعة خشبية قديمة تدق بهدوء.
وأصيص نبات صغير بجانب النافذة.
قال الأب وهو يصب الشاي:
"إذن..."
"حدثنا."
ابتسم سون كين.
وأخذ نفسًا عميقًا.
ثم بدأ يحكي.
انتقل الحديث بين لقطات سريعة...
عن سنوات التدريب.
وعن معلمهم.
وعن اختبار المكتب العالمي للفنون القتالية.
وعن أصدقائه الخمسة.
ثم...
عن الاحتفال الذي أقاموه.
ضحك الأب عندما وصف أحد أصدقائه وهو يحاول السير مستقيمًا بعد أن أكثر من الشرب.
وقال ساخرًا:
"ومن حسن حظهم أنك لا تشرب."
ابتسم سون كين.

"لو شربت معهم..."
"لما وجدت من يعيدهم إلى بيوتهم."
ضحك الجميع.
...
سال سون كين والده عن سير العمل..
رد والده..
رائع جدا.. و لولا أفكارك لما صار اسم (سون تاكاموري)
بهذا الصيت.. ابتسم سون..
نهضت الأم فجأة.
"انتظر مكانك."
اختفت داخل المطبخ.
وبعد دقائق...
عادت وهي تحمل صينية كبيرة.
وضعتها على الطاولة.
تصاعد البخار منها.
قالت بفخر:
"السوشي..."
ثم وضعت الطبق الثاني.
"...والكاري."
نظر سون كين إلى الطعام.
ثم إلى والدته.
واتسعت ابتسامته.
"لا أحد يصنعهما مثلك."
قالت وهي ترفع حاجبها:
"حتى مطاعم طوكيو؟"
هز رأسه بثقة.
"خصوصًا مطاعم طوكيو."
ضحك الأب.
"إذن هيا قبل أن يبرد."
ضم سون كين كفيه معًا.
وقال بابتسامة واسعة:
"اليوم..."
"سآكل حتى أنفجر."
انفجر والداه بالضحك.
وبدأ الثلاثة يتناولون العشاء...
وكأن الزمن...
لم يمضِ أصلًا.
...
انتهى العشاء.
ساعد سون كين والدته في حمل الأطباق إلى المطبخ.
قالت وهي تحاول إبعاده:
"اتركها لي."
ابتسم.
"غبت سنتين..."
"على الأقل دعيني أساعدك لخمس دقائق."
ضحكت الأم.
وتركت له بعض الأطباق.
أما الأب...

فجلس في غرفة المعيشة يطالع صحيفة المساء، بينما ارتفع صوت المذياع القديم في الخلفية يبث نشرة ليلية هادئة، لم تكن تحمل أي خبر يلفت الانتباه.
بعد دقائق...
خرج سون كين من المطبخ.
انحنى لوالديه.
"تصبحان على خير."
ابتسم الأب.
"نم جيدًا."
وأضافت الأم:
"ولا تنسَ أن لديك مقابلة صباحًا."
رفع يده مبتسمًا.
"لن أنساها."
...
اتجه نحو نهاية الممر.
وقف أمام باب غرفته.
تردد للحظة.
ثم أمسك بالمقبض...
وفتحه ببطء.
دخل.
وبقي واقفًا.
الغرفة...
كما تركها تمامًا.
السرير في مكانه.
المكتب الخشبي الصغير.
الرفوف الممتلئة بالكتب.
وصور قديمة معلقة على الجدار.
اقترب من المكتب.
مرر أصابعه فوق سطحه.
ثم فتح أحد الأدراج.
وجد دفاتر قديمة.
وأقلامًا احتفظ بها منذ أيام الدراسة.
ابتسم دون أن يشعر.
"حتى هذا..."
"ما زال هنا."
أغلق الدرج برفق.
ثم جلس على حافة السرير.
نظر حوله مرة أخرى.
وقال بصوت منخفض:
"اشتقت إليك."
استلقى على ظهره.
ووضع يديه خلف رأسه.
ساد الصمت.
كان يسمع من بعيد صوت والديه يتحدثان في غرفة الجلوس.
ابتسم.
وأغمض عينيه.
...
لكن...
بعد ثوانٍ قليلة...

فتحهما فجأة.
اعتدل في جلسته.
"المقابلة!"
نظر إلى الساعة الصغيرة بجانب السرير.
تنفس الصعداء.
"ما زال لدي وقت كافٍ للنوم."
نهض.
أخرج من حقيبته ملفًا أزرق.
فتحه.
راجع الأوراق بسرعة.
شهادته.
وثائق التخرج.
وأوراق التقديم لوظيفة أستاذ في الجامعة.
رتبها بعناية.
ثم وضعها فوق المكتب.
أطفأ المصباح.
وعاد إلى السرير.
أغمض عينيه مرة أخرى.
هذه المرة...
غلبه النعاس بسرعة.
وخيم الهدوء على المنزل بأكمله.
...
يتبع...

الحلقه : ٣حافله الي المستقبل

ا

تسللت أشعة شمس الصباح بين ستائر غرفة سون كين. فتح عينيه ببطء. ظل ينظر إلى سقف الغرفة لثوانٍ...ثم ابتسم. " اليوم..."" يوم مقابلة الوظيفة."نهض من فراشه بنشاط. رتب سريره كما اعتاد دائمًا. ثم ارتدى ملابسه بعناية. قميص أبيض.
وبنطال أسود بسيط. وحذاء جلدي نظيف.
أما نظارته الشمسية...فتركها في جيبه، فهي رفيقة الطريق أكثر من كونها زينة.

...
خرج من غرفته.
فوجد والدته قد سبقت الجميع إلى المطبخ.
التفتت إليه مبتسمة.
"صباح الخير."
رد مبتسمًا:
"صباح الخير يا أمي."
وضعت أمامه فطورًا بسيطًا.
أرزًا، وقطعة سمك مشوي، وحساء ميسو.
جلس يأكل بسرعة.
دخل الأب بعد لحظات، وهو يرتب ياقة قميصه.
"إذن... أول يوم؟"
أومأ سون كين.
"أتمنى أن يكون بداية جيدة."
ابتسم الأب.
"سيكون كذلك."
ثم أضاف وهو يشرب الشاي:
"لكن لا تخف من الطلاب..."
"أخف فقط من أوراق التصحيح."
ضحكت الأم.
أما سون كين...
فهز رأسه ضاحكًا.
"سأتذكر هذه النصيحة."
...
وقف بعد أن أنهى فطوره.
انحنى احترامًا لوالديه.
"سأذهب."
قالت الأم وهي ترتب ياقة قميصه كما كانت تفعل منذ صغره:
"اعتنِ بنفسك."
أجابها بابتسامة هادئة:
"دائمًا."
خرج من الشقة.

وأغلق الباب برفق.
...
في الخارج...
كانت المدينة قد بدأت تستيقظ.
المحال تفتح أبوابها.
والطلاب يتجهون إلى مدارسهم.
والعمال يسيرون بخطوات سريعة نحو أعمالهم.
وصل إلى موقف الحافلات.
وقف ينتظر بهدوء.
وبعد دقائق...
توقفت الحافلة أمامه.
صعد إليها.
وألقى التحية على السائق.
ثم جلس قرب النافذة.
انطلقت الحافلة تشق طريقها بين شوارع طوكيو.
أخرج سون كين ملف تعيينه.
راجعه للمرة الأخيرة.
ثم أعاده إلى الحقيبة.
رفع بصره إلى النافذة.
كان يتأمل المدينة بصمت...
حتى قطع الهدوء صوت مرتفع من منتصف الحافلة.
"كم مرة قلت لكِ ألا تفعلي هذا؟!"
رفع بعض الركاب رؤوسهم.
لكنهم سرعان ما عادوا إلى أماكنهم...
وكأنهم اعتادوا تجاهل مشكلات الآخرين.
أما سون كين...
فاكتفى بالنظر للحظة.
ثم أعاد بصره إلى النافذة.
يفضل دائمًا ألا يتدخل...
ما دام الأمر لا يحتاج إليه.
لكن...
استمر الصراخ.
وأصبحت نبرة الشاب أكثر حدة.
بينما كانت الفتاة تحاول أن تشرح شيئًا...
دون أن يمنحها فرصة لإكمال جملة واحدة.
أخذ سون كين نفسًا هادئًا.
وأغلق الملف.
ثم رفع نظره مرة أخرى نحو مصدر الصوت...
...
ارتفع صوت الشاب مرة أخرى داخل الحافلة.
"كم مرة قلت لكِ ألا تفعلي هذا؟!"
حاولت الفتاة الرد.
"اسمعني أولًا..."
لكن الشاب قاطعها.
"لا أريد أن أسمع أي شيء!"
ساد التوتر داخل الحافلة.
بعض الركاب أنزلوا رؤوسهم.
وبعضهم نظر من النافذة...

كأن الأمر لا يعنيهم.
أما سون كين...
فأغلق الملف بهدوء.
ووضعه داخل حقيبته.
ثم نهض.
تقدم حتى وقف بين الشاب والفتاة.
ابتسم ابتسامة هادئة.
وقال:
"يا صديقي..."
"لا ينبغي للرجل أن يرفع يده على امرأة."
نظر إليه الشاب بغضب.
"ومن تكون أنت؟"
أجاب سون كين بهدوء.
"مجرد راكب."
ثم أضاف:
"إذا كانت لديكما مشكلة..."
"فتحدثا بهدوء."
لم يمهله الشاب.
دفعه بكلتا يديه.
"لا تتدخل فيما لا يعنيك!"
تراجع سون كين نصف خطوة فقط.
ثم استعاد توازنه.
لم تتغير ملامحه.
ولم تغب ابتسامته.
قال بهدوء:
"اهدأ."
صرخ الشاب.
"قلت ابتعد!"
واندفع بلكمة مستقيمة نحو وجه سون كين.
مال سون كين برأسه قليلًا.
مرت اللكمة بجانب خده.
دون أن يرد.
تبعها الشاب بركلة.
تراجع سون كين خطوة صغيرة.
فلم تصبه.
ازداد غضب الشاب.
دار بجسده.
وضرب بكوعه.
ثم أتبعها بلكمة جانبية قوية.
لكن...
كل ضربة...
كانت تمر في الهواء.
تحركات سون كين كانت صغيرة جدًا.
حتى إن بعض الركاب لم يدركوا كيف تفاداها.
نظر إليه سون كين.
وقال للمرة الثانية:
"اهدأ."
لكن الشاب...

كان قد فقد أعصابه تمامًا.
استدار فجأة.
ورفع يده نحو الفتاة.
"وأنتِ..."
لم يكمل.
في لحظة واحدة...
تحرك سون كين.
أمسك معصم الشاب.
ولف أصابعه برفق حول مفصل كفه.
بإصبعين فقط.
ضغط ضغطًا خفيفًا.
اتسعت عينا الشاب.
ثم...
بدأت ركبتاه بالانخفاض تلقائيًا.
حتى جلس على أرض الحافلة وهو يصرخ من الألم.
"آآآه!"
ساد الصمت.
نظر جميع الركاب إلى المشهد بدهشة.
أما الفتاة...
فبقيت تنظر إلى سون كين غير مصدقة.
لم يزد سون كين قوة الضغط.
بل قال بهدوء:
"إذا هدأت..."
"سأترك يدك."
لكن الشاب حاول المقاومة.
فزاد سون كين الضغط مقدارًا بسيطًا.
صرخ الشاب بقوة.
"حسنًا! حسنًا!"
"لن ألمسها!"
انتظر سون كين لحظة.
ثم أرخى قبضته.
وقف الشاب وهو يمسك معصمه المتألم.
وفي تلك اللحظة...
توقفت الحافلة عند إحدى المحطات.
نظر الشاب إلى سون كين.
ثم إلى الركاب الذين كانوا يحدقون فيه.
عض على شفتيه.
ونزل من الحافلة مسرعًا.
وما إن أغلقت الأبواب...
حتى عادت الحافلة إلى السير.
ساد صمت قصير.
ثم انحنت الفتاة قليلًا.
وقالت بخجل:
"شكرًا لك."
ابتسم سون كين.
وأجاب ببساطة:
"لا داعي للشكر."
ثم عاد إلى مقعده.

وأخرج ملفه مرة أخرى...
وكأن شيئًا لم يحدث.
...
بعد نحو نصف ساعة...
توقفت الحافلة في قلب طوكيو.
نزل سون كين منها.
وقف للحظة.
أخذ نفسًا عميقًا.
ثم زفر ببطء.
ونظر إلى المبنى أمامه.
ابتسم ابتسامة خفيفة.
"حسنًا..."
"لنبدأ."
...
بدأ يسير بخطوات ثابتة.
حتى وصل إلى بوابة جامعة كبيرة تتألف من سبعة طوابق.
كان الطلاب يدخلون ويخرجون في كل اتجاه.
وأصوات الأحاديث تملأ المكان.
تقدم نحو مكتب الحراسة.
أخرج ملفه.
وقال باحترام:
"صباح الخير."
"أنا سون كين."
"لدي موعد لإجراء مقابلة من أجل وظيفة أستاذ."
راجع الحارس سجل المواعيد.
ثم ابتسم.
"أهلًا بك."
ناول سون كين بطاقة زائر.
وقال:
"الطابق السابع."
"غرفة الإدارة."
انحنى سون كين احترامًا.
"شكرًا."
...
دخل المبنى.
استقل المصعد.
وأثناء صعوده...
نظر إلى انعكاس صورته على الباب المعدني.
رتب ياقة قميصه قليلًا.
وأخذ نفسًا هادئًا.
ثم توقف المصعد.
الطابق السابع.
خرج منه.
وسار عبر ممر طويل.
حتى وقف أمام باب خشبي كبير.
كُتب عليه:
الإدارة العامة.
طرق الباب برفق.

"تفضل."
جاءه الصوت من الداخل.
فتح الباب.
ودخل.
...
كانت المكتب واسع.
وفي منتصفه طاولة اجتماعات.
جلس حولها مدير الجامعة.
والمشرف العام.
وثلاثة من الأساتذة.
أغلق سون كين الباب خلفه.
ثم انحنى احترامًا.
"تشرفت بلقائكم."
رحب به المدير.
وأشار إلى المقعد المقابل.
"تفضل بالجلوس."
جلس سون كين بهدوء.
فتح المدير الملف الموجود أمامه.
ثم قال:
"إذن..."
"عرّفنا بنفسك."
أجاب سون كين بثقة هادئة.
"اسمي سون كين."
"خريج كلية الهندسة الميكانيكية."
"وأرغب في العمل أستاذًا لمادتي الرياضيات والهندسة."
طبق المدير يديه.
ثم ابتسم.
"لدينا سؤال."
"لماذا اخترت جامعتنا تحديدًا؟"
ساد الصمت للحظة.
ثم أجاب سون كين:
"لأنها لا تهتم فقط بنتائج الطلاب..."
"بل بطريقة تعليمهم."
نظر بعض الأساتذة إلى بعضهم.
وأكمل:
"قرأت عن نشاط الجامعة."
"وعن الأندية العلمية والثقافية فيها."
"وشعرت أنها بيئة تشجع الطالب على التفكير، لا على الحفظ فقط."
أومأ المشرف العام بإعجاب.
بينما دوّن أحد الأساتذة ملاحظة صغيرة.
...
قال أستاذ آخر:
"إذن..."
"كيف ترى وظيفة المعلم؟"
ابتسم سون كين.
وقال:
"المعلم لا يملأ العقول بالمعلومات."
"بل يعلّم أصحابها كيف يستخدمونها."

ساد الصمت.
ثم ارتسمت ابتسامة رضا على وجه المدير.
...
قال المدير:
"هل أحضرت مستنداتك؟"
"نعم."
فتح سون كين الملف.
وأخرج الأوراق واحدة تلو الأخرى.
الشهادة الجامعية.
شهادات التدريب.
وثائق الهوية.
وأثناء إخراج آخر ورقة...
انزلقت بطاقة صغيرة من بين الأوراق.
وسقطت على الأرض.
لم ينتبه سون كين.
لكن...
وقعت عين أحد الأساتذة عليها.
قطب حاجبيه.
ثم انحنى والتقطها.
قرأ ما عليها.
وفجأة...
اتسعت عيناه.
نظر إلى البطاقة.
ثم إلى سون كين.
ثم عاد ينظر إليها مرة أخرى.
قال بدهشة:
"...لحظة."
التفت المدير إليه.
"ما الأمر؟"
رفع الأستاذ البطاقة ببطء.
وقال:
"هذه البطاقه..."
ساد الصمت داخل الغرفة.
وأضاف وهو لا يزال ينظر إلى سون كين:
"أأنت..."
"...Kentru؟"
...
ظل الأستاذ ممسكًا بالبطاقة.
وأعاد النظر إليها مرة أخرى.
ثم إلى سون كين.
وقال بهدوء هذه المرة:
"...أأنت Kentru؟"
رفع سون كين رأسه.
نظر إلى البطاقة الساقطة.
ثم ابتسم ابتسامة خفيفة.
"نعم."
ساد الصمت للحظات.
تناول مدير الجامعة البطاقة من الأستاذ.

قرأها بنفسه.
ثم أعادها إلى سون كين.
وقال بابتسامة هادئة:
"لم أتوقع أن يكون حامل هذه الرتبة بهذا العمر."
أجاب سون كين وهو يعيد البطاقة إلى ملفه:
"الرتبة مسؤولية... وليست شيئًا للتفاخر."
تبادل الأساتذة النظرات.
قال أحدهم:
"إذن... كل ما سمعناه في إعلان النتائج كان صحيحًا."
ابتسم سون كين بخجل بسيط.
"لا أحب الحديث عن ذلك كثيرًا."
ضحك المدير ضحكة خفيفة.
"وهذا سبب إضافي يجعلني أحترمك."
أغلق الملف الذي أمامه.
ثم شبك يديه فوق الطاولة.
وقال:
"بصراحة..."
"لقد كنا مقتنعين بك حتى قبل أن تسقط البطاقة."
ثم أضاف:
"أما الآن..."
"فقد تأكد لنا أننا اخترنا الشخص المناسب."
نهض من مقعده.
ومد يده نحو سون كين.
"مرحبًا بك أستاذًا في جامعتنا."
وقف سون كين.
وصافحه بكل احترام.
"شكرًا لكم."
قال المشرف العام:
"ستبدأ عملك من الغد."
ثم سلّمه ملفًا مرتبًا.
"هنا جدول المحاضرات."
"وأرقام القاعات."
"وأسماء المواد التي ستدرسها."
أخذ سون كين الملف بكلتا يديه.
وانحنى.
"سأبذل كل ما أستطيع."
...
خرج من غرفة الإدارة.
وأغلق الباب خلفه بهدوء.
وقف في الممر.
فتح الملف.
نظر إلى أول صفحة.
ثم ابتسم لنفسه.
"إذن..."
"لقد أصبحت أستاذًا حقًا."
أغلق الملف.
وسار في الممر الطويل.
بينما كانت أشعة الشمس تدخل من النوافذ الكبيرة، وترسم ظله على الأرض.

...
حل صباح اليوم التالي.
كانت أروقة الجامعة تعج بالطلاب.
ضحكات.
أحاديث.
وأصوات خطوات لا تكاد تتوقف.
...
كان سون كين يسير في الممر حاملاً ملف محاضراته.
توقف أمام باب كتب عليه:
القاعة 12
نظر إلى الجدول مرة أخيرة.
ثم فتح الباب.
...
كان داخل القاعة قرابة خمسين طالبًا وطالبة.
وبمجرد دخوله...
خفتت الأصوات شيئًا فشيئًا.
التفتت الأنظار إليه.
بدأت همسات خافتة تنتشر بين المقاعد.
"هل هذا الأستاذ الجديد؟"
"يبدو صغيرًا في السن."
"ظننته طالبًا."
وفي المقاعد الخلفية...
همست إحدى الطالبات لصديقتها وهي تحاول ألا يسمعها أحد:
"بصراحة..."
"وسيم."
كتمت الأخرى ضحكتها.
وقالت:
"انظري إلى بنيته... هل هو رياضي؟"
في الجهة الأخرى...
كان بعض الطلاب يراقبونه بصمت.
وكأنهم يحاولون معرفة نوع الأستاذ الذي سيكون.
...
وصل سون كين إلى المنصة.
وضع ملفه على الطاولة.
ثم التقط قطعة الطباشير.
وكتب بخط واضح على السبورة:
سون كين
استدار نحو الطلاب.
وقال بهدوء:
"صباح الخير جميعًا."
ردد الطلاب التحية.
ابتسم ابتسامة بسيطة.
"أنا سون كين."
"وسأدرّس لكم هذا الفصل مادتي الرياضيات والهندسة."
توقف لحظة.
ثم أضاف:
"لا يهمني أن تحفظوا القوانين."
"ما يهمني أن تفهموا لماذا وُضعت."

ساد هدوء كامل في القاعة.
حتى الطلاب الذين كانوا منشغلين بالحديث...
رفعوا أنظارهم إليه.
...
فتح أول صفحة من مذكراته.
ورسم شكلًا هندسيًا بسيطًا على السبورة.
ثم قال:
"لنبدأ من أساسٍ صغير..."
"فكل بناءٍ كبير يبدأ بخط واحد."
وبدأت أول محاضرة لسون كين.
بينما كانت في الصف الثالث قرب النافذة...
طالبة تتابع الشرح بهدوء شديد.
دون أن تنطق بكلمة.
...
انتهت المحاضرة الأولى.
بدأ الطلاب يغادرون القاعة وهم يتحدثون فيما بينهم.
بعضهم يناقش الدرس.
وبعضهم يتحدث عن الأستاذ الجديد.
أما سون كين...
فجمع أوراقه بهدوء.
وأغلق ملفه.
ثم خرج من القاعة.
...
كانت استراحة الظهيرة قد بدأت.
خرج إلى الساحة الواسعة في وسط الجامعة.
كانت الأشجار تحيط بالمكان.
وتنتشر المقاعد الخشبية تحت ظلالها.
جلس على أحدها.
وأخرج صندوق طعام أعدته له والدته صباحًا.
ابتسم وهو يفتحه.
"كما توقعت..."
بدأ يتناول طعامه بهدوء.
كانت عيناه تتجولان في الساحة.
طلاب يضحكون.
مجموعة تمارس الرياضة.
وأخرى تناقش مشروعًا دراسيًا.
ابتسم لنفسه.
"مكان مفعم بالحياة."
...
في تلك اللحظة...
توقفت فتاة أمامه.
اعتدلت في وقفتها قليلًا.
ثم قالت بأدب:
"عذرًا..."
رفع سون كين نظره إليها.
"نعم؟"
قالت:
"أنت الأستاذ سون... أليس كذلك؟"

أومأ برأسه.
"نعم."
وقبل أن يقول شيئًا آخر...
مدت يدها فجأة نحو وجهه.
لكن...
في اللحظة نفسها...
رفع سون كين يده اليسرى.
وأمسك بمعصمها برفق.
بينما بقيت عيدان الطعام في يده اليمنى.
نظر إليها باستغراب هادئ.
وقال:
"ما الأمر؟"
اتسعت عينا الفتاة.
وسحبت يدها بسرعة.
ثم انحنت بخجل.
"أنا آسفة!"
"لم أقصد إساءة الأدب."
ابتسم سون كين وأرخى يده.
"لا بأس."
أخذت نفسًا عميقًا.
ثم قالت وهي تبتسم بخجل:
"كنت فقط..."
"أريد أن أتأكد."
رفع حاجبيه قليلًا.
"من ماذا؟"
قالت:
"هل أنت فعلًا..."
"سون كين..."
"الملقب بـ Kentru؟"
ساد صمت قصير.
ثم أجاب بابتسامة بسيطة:
"يبدو أن الأخبار تنتشر بسرعة."
ضحكت بخفة.
وقالت:
"سمعت بعض الأساتذة يتحدثون عنك."
هز رأسه مبتسمًا.
ثم عاد إلى طعامه.
وقال بهدوء:
"إذن... تأكدتِ."
ابتسمت.
"نعم."
...
بقيت الفتاة واقفة أمام سون كين للحظات.
كانت تريد أن تقول شيئًا...
ثم ترددت.
لاحظ سون كين ذلك.
فقال بهدوء:
"هل هناك شيء آخر؟"

انتبهت لنفسها.
"آه... نعم."
جلست على المقعد المقابل له بعد أن أشارت إليه باحترام.
"أنا آسفة إذا أزعجتك."
هز رأسه.
"لا مشكلة."
ساد صمت قصير.
ثم قالت:
"في الحقيقة..."
"أنا أيضًا مهتمة بالفنون القتالية."
نظر إليها سون كين باهتمام.
"حقًا؟"
ابتسمت.
"لكنني لا أمارسها."
استغرب قليلًا.
"إذن كيف تهتمين بها؟"
أجابت:
"أحب مشاهدتها."
ثم أضافت:
"لكن هوايتي الأساسية هي الرماية."
توقف سون كين قليلًا.
"الرماية؟"
أومأت.
"نعم."
"أستخدم الأسلحة النارية..."
"وأتدرب أيضًا على القوس التقليدي."
ظهرت ابتسامة صغيرة على وجهه.
"هذا ليس اهتمامًا شائعًا."
ضحكت.
"أعرف."
"الكثير من الناس يستغربون عندما يسمعون ذلك."
نظر سون كين إلى الساحة.
ثم قال:
"لكن لكل شخص شيء يجذبه."
"المهم أن يعرف لماذا يحبه."
نظرت إليه للحظة.
ثم ابتسمت.
"أنت مختلف عما توقعت."
رفع نظره إليها.
"ماذا توقعتِ؟"
قالت بسرعة:
"لا شيء..."
ثم ضحكت بخجل.
"فقط ظننت أن شخصًا يحمل هذه الرتبة سيكون أكثر..."
توقفت.
"غرورًا؟"
أكمل سون كين الجملة بابتسامة.
احمر وجهها قليلًا.

"نعم."
ضحك بهدوء.
"القدرة لا تعني أن الإنسان أفضل من الآخرين."
"هي فقط تعني أن لديه مسؤولية أكبر."
سكتت الفتاة للحظة.
وكأنها حفظت هذه الجملة في ذاكرتها.
ثم قالت:
"أنا..."
"اسمي..."
وقبل أن تكمل...
رن جرس انتهاء الاستراحة.
نظر سون كين إلى الساعة.
"يبدو أن الوقت انتهى."
وقفت بسرعة.
"صحيح."
انحنت له قليلًا.
"شكرًا على وقتك يا أستاذ."
أجاب:
"العفو."
ذهبت مبتعدة بين الطلاب.
أما سون كين...
فنظر إليها للحظة.
ثم عاد إلى طعامه.
وكأن هذا اللقاء كان مجرد حديث عابر.
...
"بعد المحاضرة"
مر اليوم الأول بهدوء.
أنهى سون كين محاضراته.
وأجاب عن أسئلة الطلاب.
واستمع إلى ملاحظاتهم.
لم يكن من النوع الذي يقف بعيدًا عن طلابه.
بل كان يتجول بينهم، يسألهم عن طريقة تفكيرهم، ويحاول معرفة نقاط ضعفهم.
بالنسبة له...
التعليم لم يكن مجرد كتابة معادلات على السبورة.
بل فهم الشخص الذي أمامه.
...
بعد انتهاء آخر محاضرة.
خرج من القاعة وهو يحمل ملفاته.
في الممر...
مر بجانب بعض الطلاب الذين انحنوا له احترامًا.
رد التحية بابتسامة.
واصل طريقه حتى خرج من مبنى الجامعة.
كانت الشمس قد بدأت تميل نحو الغروب.
وقف للحظة أمام البوابة.
نظر إلى مبنى الجامعة خلفه.
ثم ابتسم.
"يبدو أن البداية كانت جيدة."
...

داخل المشفى...
كان الممر هادئًا بشكل ثقيل.
جلست الأم على أحد المقاعد.
يداها متشابكتان بقوة.
وعيناها معلقتان على باب غرفة الطوارئ.
بجانبها...
كان الأب واقفًا بصمت.
يحاول أن يبدو ثابتًا.
لكن يديه المرتجفتين كانتا تفضحانه.
مرت دقائق...
ثم دقائق أخرى.
حتى فُتح الباب.
خرج الطبيب.
كان التعب واضحًا على وجهه.
أنزل الكمامة ببطء.
نظر إلى الوالدين.
صمت للحظة.
ثم قال:
"أنا آسف..."
تجمد المكان.
لم تستطع الأم الرد.
أما الطبيب...
فاكتفى بخفض رأسه.
ثم ابتعد.
...
في اللحظة التالية...
انكسرت قوة الأم.
وضعت يدها على فمها.
وبدأت دموعها بالنزول.
"لا..."
"لا..."
أمسك بها الأب بسرعة.
حاول تثبيتها.
لكن صوته خرج ضعيفًا.
قالت وهي تبكي:
"لو أننا..."
"لو أننا أتينا أبكر بقليل..."
خفض الأب رأسه.
وقال بصوت مكسور:
"لو كان لدي المال الكافي..."
ساد الصمت.
...
قبل يوم واحد.
داخل غرفة الفحص.
كان الطبيب ينظر إلى التقارير الطبية.
والقلق واضح على وجهه.
قال:
"ابنكم..."

"يعاني من عدة أمراض."
توقفت الأم عن التنفس للحظة.
تابع الطبيب:
"حالته ضعيفة جدًا."
"لا أستطيع أن أعدكم بشيء."
نظر الأب إليه.
"لكنكم ستعالجونه... صحيح؟"
صمت الطبيب.
ثم قال:
"سنفعل ما نستطيع."
...
عودة إلى الحاضر.
داخل مكتب الأطباء.
جلس الطبيب أمام مكتبه.
وضع يده على رأسه.
كان ينظر إلى الأرض.
وقال بصوت منخفض:
"ياللهول..."
"لم تنجح..."
...
قبل عدة أيام.
داخل غرفة خاصة.
كان عدد من الأطباء يقفون حول سرير الفتى.
تظهر على وجوههم علامات الحيرة.
قال أحدهم:
"نبضه ضعيف جدًا."
"منذ فترة طويلة."
وقال آخر:
"لكن قلبه ما زال يعمل."
اقترب الطبيب المسؤول.
نظر إلى الشاشة.
ثم قال:
"هذا مستحيل."
"لا يمكن للإنسان أن يبقى بهذه الحالة."
ساد الصمت.
ثم تابع:
"هناك شيء يحدث داخل جسده."
نظر إلى الآخرين.
"علينا أن نعرف السبب."
...
في غرفة أخرى.
كان الفتى مستلقيًا.
والأجهزة تحيط به.
وقف كبير الأطباء بجانبه.
قال:
"أعطني المقص."
اقترب.
بدأ الإجراء...

لكن في لحظة غير محسوبة...
حدث الخطأ.
تغيرت ملامح الطبيب.
توقفت الحركة.
بدأت الأجهزة تصدر أصواتًا متسارعة.
ثم...
خط طويل.
صمت.
...
عودة إلى الحاضر.
خرج بعض الممرضين من غرفة الطوارئ.
كان السرير مغطى.
اقتربت الأم بسرعة.
"ابني!"
حاولت الإمساك به.
لكن الممرضين أوقفوها.
"من فضلكِ..."
"دعينا نقوم بعملنا."
تشبث الأب بالسرير.
لكن بعد لحظات...
ابتعد السرير في الممر الطويل.
نحو مكان آخر.
نحو المشرحة.
...
توقفت العائلة خارج المشفى.
لم يتحدث أحد.
نظرت الأم إلى المبنى.
المكان الذي دخلته وهي تحمل الأمل...
وتخرج منه وهي تحمل الفراغ.
أمسك الأب بيدها.
ثم بدأ الاثنان السير بعيدًا.
تحت أضواء الشارع الهادئة.
...
عاد إلى المنزل.
فتح الباب.
فوجد والديه في غرفة المعيشة.
قالت والدته فور رؤيته:
"كيف كان يومك؟"
خلع حذاءه ودخل.
"أفضل مما توقعت."
جلس معهم.
بدأ يحكي عن الطلاب.
عن القاعة.
عن الأسئلة الغريبة التي طرحها بعضهم.
وعن اختلاف شخصياتهم.
كان الأب يستمع باهتمام.
ثم قال:
"كنت أعلم أنك ستنجح."

ابتسم سون كين.
أما والدته فقالت:
"هل تناولت الطعام الذي أعطيتك إياه؟"
تظاهر بالتفكير.
فتغير وجهها.
"كين..."
ضحك بسرعة.
"نعم، نعم."
"أنهيته بالكامل."
تنفست براحة.
...
مر المساء بهدوء.
دخل سون كين غرفته.
رتب أوراق الغد.
ووضعها فوق المكتب.
ثم جلس قليلًا ينظر من النافذة.
طوكيو في الليل...
الأضواء.
السيارات.
الأصوات البعيدة.
كل شيء يبدو طبيعيًا.
أغلق الستارة.
وذهب إلى سريره.
وقبل أن يغلق عينيه...
تذكر شيئًا.
العائلة التي قابلها في المشفى.
الطفل المريض.
والأب الذي قال له:
"لا يزال هذا العالم بخير طالما يوجد شباب مثلك."
فتح عينيه قليلًا.
وقال:
"أتمنى أن يكون بخير..."
ثم أطفأ المصباح.
...
يتبع...

الحلقة الرابعة.."اللقب الذي لا يحمله إلا واحد"

...

مرّت عدة أيام على بداية عمل سون كين في الجامعة.

أصبح وجهه مألوفًا للطلاب.

فلم يعد ذلك الأستاذ الجديد الذي يتحدث عنه الجميع...

بل صار جزءًا من يومهم الدراسي.

...

في استراحة الظهيرة...

كانت ساحة الجامعة تعج بالطلاب.

تحت ظل إحدى الأشجار الكبيرة...

جلس سون كين على المقعد المعتاد.

وحوله مجموعة من الطلاب والطالبات.

لم يكن الحديث عن الرياضيات هذه المرة.

ولا عن الهندسة.

بل عن الحياة.

قال أحد الطلاب ضاحكًا:

"يا أستاذ..."

"هل كنت جادًا عندما قلت إنك لا تشرب الكحول حتى في حفلة تخرجك؟"

ضحك بعض الطلاب.

ابتسم سون كين وهو يهز رأسه.

"نعم."

"لم أشعر يومًا أنني بحاجة إليه حتى أفرح."

رد طالب آخر:

"أصدقاؤك لم يتركوك وشأنك بالتأكيد."

ضحك سون كين.

"بالفعل..."

"حاولوا كثيرًا."

"وفي النهاية احتفلت معهم بعصير البرتقال."

انفجر الجميع بالضحك.

...

رفعت إحدى الطالبات يدها قليلًا.

وقالت بابتسامة:

"يا أستاذ..."

"هل لديك لقب؟"

نظر إليها باستغراب بسيط.

"لقب؟"

أومأت برأسها.

"أقصد..."

"مثل اللقب الذي يناديك به أصدقاؤك."

"أو اسم مميز اشتهرت به."

فكر للحظة.

ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة هادئة.

"لدي أكثر من لقب."

"لكن أكثرها استخدامًا..."

"هو (أسمر)."

تعجب بعض الطلاب.

نظر أحدهم إلى وجهه.

ثم قال ضاحكًا:

"لكن بشرتك ليست سمراء!"

ضحك سون كين.

"كانت كذلك عندما كنت صغيرًا."

"عشت مع والدي في أستراليا عدة سنوات."

"وعندما عدنا إلى اليابان..."

"أطلق عليّ أصدقائي هذا اللقب."

"ومنذ ذلك اليوم..."

"لم يتوقفوا عن مناداتي به."

ابتسم الجميع.

...

سألت طالبة أخرى:

"وكيف كانت الحياة بعد التخرج؟"

ساد صمت قصير.

ثم نظر سون كين إلى السماء.

وكأنه يسترجع سنوات طويلة.

وقال بهدوء:

"جميلة..."

"لأنني لم أعشها وحدي."

"كان لدي خمسة أصدقاء..."

"كبرنا معًا."

"وتدربنا معًا."

"وقضينا سبع سنوات كاملة داخل معهد التدريب."

ظهرت ابتسامة صادقة على وجهه.

"لا أعتقد أنني كنت سأصل إلى ما أنا عليه دونهم."

سألت إحدى الطالبات باستغراب:

"معهد التدريب؟"

أجاب:

"معهد يتبع المكتب العالمي للفنون القتالية."

"في أطراف طوكيو."

"دخلناه في اليوم نفسه."

"وتخرجنا في اليوم نفسه."

وقبل أن يكمل...

قاطعه أحد الطلاب وقد اتسعت عيناه.

"انتظر..."

"هل تقصد..."

ثم ذكر أسماء أصدقائه واحدًا تلو الآخر.

ساد الصمت لثوانٍ.

نظر سون كين إليه مبتسمًا.

"نعم."

"هؤلاء هم."

ضرب الطالب كفًا بكف.

"مستحيل!"

"هؤلاء هم أصحاب الرتبة المتقدمة الذين أعلن عن تخرجهم هذا العام!"

بدأ الطلاب يتبادلون النظرات.

وقالت إحدى الطالبات:

"إذن... أنت تعرفهم شخصيًا؟"

ضحك سون كين.

"ليس معرفة فقط."

"إنهم أعز أصدقائي."

في تلك اللحظة...

قالت إحدى صديقات البطلة بحماس:

"يا أستاذ!"

"يجب أن نتعرف عليهم يومًا ما!"

أيدتها الأخريان بسرعة.

حتى البطلة اكتفت بابتسامة صغيرة وهي تستمع.

ابتسم سون كين.

وقال:

"إذا سنحت الفرصة..."

"فسأحاول جمعكم بهم."

...

سادت لحظة هادئة.

ثم قال أحد الطلاب وهو يبتسم بخبث:

"يا أستاذ..."

"أظنك تخفي شيئًا عنا."

رفع سون كين حاجبيه.

"حقًا؟"

"وماذا أخفي؟"

ضحك الطالب.

"لا تتظاهر."

"أخبرهم."

بدأ بعض الطلاب ينظرون إليه باستغراب.

بينما همس آخرون:

"عن ماذا يتحدث؟"

وهنا...

رفع أحد الطلاب رأسه فجأة.

وكأنه تذكر شيئًا كان نائمًا في ذاكرته.

وقال ببطء:

"سون... كين..."

"لحظة..."

"لقد سمعت هذا الاسم من قبل..."

...

ساد الصمت بين الطلاب.

كان الجميع ينظر إلى ذلك الطالب الذي بدا وكأنه يحاول تذكر شيء قديم.

وضع يده على ذقنه.

ثم اتسعت عيناه فجأة.

وقال:

"تذكرت!"

التفتت إليه المجموعة.

قال بحماس:

"قبل عدة أيام..."

"كنت أشاهد التلفاز."

"كان هناك نقل لحفل إعلان نتائج المكتب العالمي للفنون القتالية."

بدأ بعض الطلاب يحاولون التذكر.

وأكمل:

"لم تكن الكاميرا تُظهر وجهه بوضوح..."

"لكن..."

نظر مباشرة إلى سون كين.

"الاسم..."

"كان سون كين."

"وصاحب الرتبة النادرة..."

ساد الصمت.

ثم قال بصوت يكاد لا يُصدق:

"...Kentru."

تبادل الطلاب النظرات.

قال أحدهم:

"مستحيل..."

وقالت طالبة:

"أستاذنا؟"

نظر الجميع إلى سون كين.

كان لا يزال جالسًا بهدوء.

يرتشف قليلًا من كوب الشاي الذي أمامه.

ثم ابتسم.

وقال:

"يبدو أنكم اكتشفتم الأمر."

انفجر المكان بالأسئلة.

"هل هذا صحيح؟"

"حقًا حصلت على الرتبة النادرة؟"

"هل تستطيع مواجهة خمسة عشر شخصًا؟"

"كيف وصلت إليها؟"

ابتسم سون كين.

ورفع يده قليلًا.

فعاد الهدوء.

قال:

"الرتبة..."

"ليست دليلًا على أن صاحبها لا يُهزم."

نظر الطلاب إليه باهتمام.

وأكمل:

"هي تعني فقط..."

"أن من يحملها اجتاز اختبارًا أصعب."

"وأن مسؤوليته أصبحت أكبر."

ساد الصمت.

ثم قال أحد الطلاب مبتسمًا:

"لكن هذا يجعلنا نشعر بالأمان."

ضحك سون كين بخفة.

"أتمنى ألا تحتاجوا يومًا إلى أن أدافع عنكم."

ضحك الجميع.

...

في طرف الدائرة...

كانت الفتاه تراقب الحديث بصمت.

ارتسمت على وجهها ابتسامة صغيرة.

لم تقل شيئًا.

لكنها فكرت في نفسها:

"حتى بعد كل هذا..."

"ما زال يتصرف كأنه شخص عادي."

...

رن جرس انتهاء الاستراحة.

وقف الطلاب واحدًا تلو الآخر.

وبدأت المجموعة تتفرق.

قال أحدهم وهو يبتعد:

"أظن أن الجامعة حصلت على أستاذ لن تنساه."

ابتسم سون كين.

وحمل ملفه.

واتجه بهدوء نحو مبنى القاعات.

بينما بقيت كلمات الطلاب تتردد خلفه.

...

في الوقت نفسه...

داخل أحد المكاتب في المستشفى.

ساد صمت ثقيل.

جلس كبير الأطباء في مقدمة الطاولة.

وحوله عدد من الأطباء الذين شاركوا في علاج الطفل.

لم ينطق أحد.

كانت الملفات الطبية مبعثرة أمامهم.

وأكواب القهوة الباردة ما زالت في أماكنها.

قطع أحد الأطباء الصمت.

"علينا أن نحدد ما سنكتبه في التقرير."

رد آخر وهو يمرر يده على جبينه:

"إذا ظهر أن الوفاة كانت بسبب خطأ أثناء العملية..."

"فلن يتوقف الأمر عند فصلنا."

قال طبيب ثالث:

"وقد تصل القضية إلى المحكمة."

ساد الصمت من جديد.

كان كبير الأطباء لا يزال ينظر إلى الطاولة.

شاردًا.

وكأنه لم يسمع شيئًا.

قال أحدهم:

"دكتور..."

"ما رأيك؟"

لم يجب.

ظل صامتًا.

ثم رفع رأسه ببطء.

وقال بصوت منخفض:

"قبل أن نقرر أي شيء..."

"يجب أن نتأكد من جميع التفاصيل."

نظر إليه الأطباء.

وأضاف:

"لن يخرج أي تقرير الآن."

"ولا أحد يتحدث عما حدث خارج هذه الغرفة."

أومأ الجميع بصمت.

أغلق كبير الأطباء الملف الذي أمامه.

ونهض من مقعده.

"انتهى الاجتماع."

بدأ الأطباء يغادرون الغرفة واحدًا تلو الآخر.

أما هو...

فبقي واقفًا مكانه.

ينظر إلى الباب بعد أن أغلق.

ثم تنهد طويلًا.

...

في ممرات المستشفى..

كان المرضى والزوار يتحركون بشكل طبيعي.

ممرضات يدفعن الأسرة.

أطباء يراجعون الملفات.

هواتف ترن.

كل شيء يبدو طبيعيا.

كانت الممرات عاديه.

حتى الأقسام المزدحمة.

وأصبحت الإضاءة أضعف.

والأصوات أقل.

ثم إلى الممر الخلفي.

المؤدي إلى...

غرف العمليات.

وغرف الطوارئ.

والمشرحة.

أمام باب معدني بارد.

كُتب عليه:

المشرحة.

فتح الباب ببطء.

...

اصطفت الأسرة المعدنية داخل الغرفة.

بعضها فارغ.

وبعضها غُطي بأغطية بيضاء.

ساد صمت مطبق.

سرير...

ثم آخر...

ثم ثالث...

كان هناك سرير صغير.

تحت الغطاء...

كان يرقد الطفل.

هدوء.

لا صوت.

لا حركة.

مرت ثانية.

ثم ثانية أخرى.

...

فجأة...

ارتجفت أصابع يده.

رجفة خفيفة جدًا.

كأنها لم تحدث أصلًا.

ثم...

ارتفع صدره.

وهبط.

ببطء شديد.

...

في اليوم التالي..

أشرقت شمس الصباح على المستشفى.

بدأت الحركة تدب في الممرات.

أطباء يتجهون إلى أقسامهم.

ممرضات يتبادلن الملفات.

وصوت عربات الأدوية يمر بين الغرف.

كان كل شيء يسير كأي يوم آخر.

...

في الطابق السفلي...

فتح أحد العاملين باب المشرحة.

دخل وهو يحمل كوبًا من القهوة ودفتر تسجيل الوفيات.

وضع الكوب على مكتبه.

جلس.

فتح الدفتر.

ثم بدأ يراجع الأسماء واحدًا تلو الآخر.

لم يرفع رأسه.

ولم يلتفت إلى الأسرة المعدنية المصطفة خلفه.

...

ساد المكان هدوء تام.

لم يُسمع سوى صوت احتكاك القلم بالورق.

وبعد لحظات...

انثنى أحد أصابع قدم الطفل...

انثناءً خفيفًا جدًا.

ثم عاد إلى مكانه.

لم ينتبه أحد.

وبقي العامل يواصل كتابة السجلات.

...

داخل الجامعة...

وقف سون كين أمام السبورة.

أنهى رسم أحد الأشكال الهندسية.

ثم التفت إلى الطلاب.

"إذا غيّرنا زاوية الإسقاط..."

"فكيف سيتغير هذا المنظور؟"

بدأت الأيدي ترتفع.

وتحولت القاعة إلى نقاش هادئ.

...

وفجأة...

رن هاتفه.

توقف للحظة.

أخرجه من جيبه.

نظر إلى الشاشة.

ارتسمت على وجهه ابتسامة صغيرة.

ضغط زر الإغلاق.

ووضع الهاتف في جيبه.

وقال بابتسامة معتذرة:

"أين وصلنا؟"

وعاد إلى الشرح وكأن شيئًا لم يحدث.

...

بعد انتهاء المحاضرة...

خرج من القاعة.

وأثناء سيره في الممر...

أخرج هاتفه.

نظر إلى الاسم مرة أخرى.

"تويا..."

ابتسم.

وضغط زر الاتصال.

لم تمض سوى ثوانٍ حتى جاءه صوت الطفل بحماس.

"كين.. !"

ضحك سون كين.

"كنت أعلم أنك ستعاتبني."

رد تويا بسرعة:

"لم تزرنا منذ مده!"

"قلت إنك ستأتي."

أجاب سون كين وهو يضحك بخفة:

"معك حق."

"بداية العمل في الجامعة أخذت كل وقتي."

قال تويا بحماس:

"إذن تعال اليوم!"

نظر سون كين إلى ساعته.

ثم إلى جدول يومه.

وابتسم.

"حسنًا."

"لدي محاضرة واحدة فقط اليوم."

"وقد انتهيت منها."

"سأكون عندكم بعد قليل."

وصله صوت فرحة الطفل من الطرف الآخر.

"حقًا؟!"

"سأنتظرك!"

انتهت المكالمة.

ابتسم سون كين وهو يعيد الهاتف إلى جيبه.

وقال بصوت خافت:

"يبدو أنني تأخرت عليهم فعلًا."

...

بعد نحو ساعة...

خرجت الحافلة من شوارع طوكيو المزدحمة.

واتجهت غربًا.

حتى وصلت إلى أحد الأحياء الهادئة في مدينة هاتشيوجي.

كان الحي بعيدًا عن ضجيج وسط العاصمة.

بيوت متقاربة.

متاجر صغيرة يعرف أصحابها بعضهم بعضًا.

وأطفال يركضون في الأزقة الضيقة.

ما إن نزل سون كين من الحافلة...

حتى شعر وكأنه عاد إلى مكان لم يغادره يومًا.

...

لم يكد يخطو بضع خطوات...

حتى سمع صوتًا يعرفه جيدًا.

"كين..!"

التفت.

ورأى تويا يركض نحوه بأقصى سرعته.

توقف أمامه وهو يلهث.

ثم ابتسم ابتسامة عريضة.

"كنت أعلم أنك ستأتي."

ربت سون كين على رأسه.

"وهل كنت تشك في ذلك؟"

هز تويا رأسه بالنفي.

ثم ساد صمت قصير.

وكأن الطفل يجمع شجاعته.

رفع رأسه.

ونظر مباشرة إلى سون كين.

وقال بثقة امتزجت بالبراءة:

"أريدك..."

"أن تصير معلمي."

ساد الصمت.

نظر سون كين إليه.

ثم ارتسمت على وجهه ابتسامته الهادئة...

دون أن ينطق بكلمة.

...

الحلقة الخامسة "النبضة الأولى"

...
حلّ الليل على اليابان.
هدأت الشوارع شيئًا فشيئًا.
أُغلقت معظم المتاجر.
واختفت ضوضاء النهار، ولم يبقَ سوى أضواء أعمدة الإنارة التي انعكست على الأرصفة المبتلة.
...
في الطابق السفلي من أحد المستشفيات الحكومية...
فتح بابٌ معدني ثقيل ببطء.
دخل عامل المشرحة وهو يحمل كوبًا من القهوة بيده اليمنى، ودفتر تسجيل الوفيات باليسرى.
تثاءب بخمول.
ثم أغلق الباب خلفه.
ساد الصمت.
كان المكان باردًا على غير العادة.
صفوف من الأدراج المعدنية.
وأسرّة مغطاة بأغطية بيضاء.
ورائحة المطهرات لا تفارق المكان.
...
وضع كوب القهوة على مكتبه.
فتح الدفتر.
ثم بدأ ينادي الأرقام بصوت منخفض، يقارنها بالبطاقات المثبتة على الأسرة.
كان كل شيء يسير بروتين اعتاده منذ سنوات.
...
بعد دقائق...
توقف قليلًا.
رفع كوب القهوة.
وأخذ رشفة هادئة.
...
طَق...
صدر صوت خافت من خلفه.
خفض الكوب ببطء.
التفت.
لم يرَ شيئًا.
ظل يحدق في الأسرة للحظات.
ثم هز كتفيه مبتسمًا لنفسه.
"يبدو أن الإرهاق بدأ يعبث بي."
عاد إلى مكتبه.
وقلب صفحة أخرى من الدفتر.
...
طَق...
عاد الصوت مرة ثانية.
أسرع هذه المرة في الالتفات.
وقع بصره على أحد الأسرة.
بدا له...
وكأن الغطاء تحرك قليلًا.
اقترب خطوة.
ظل يراقب السرير طويلًا.

لم يحدث شيء.
فرك عينيه.
وزفر بهدوء.
"أنا بحاجة إلى النوم."
عاد إلى مكتبه مرة أخرى.
دون أن يعلم...
أن الطفل الذي كان مستلقيًا تحت الغطاء...
قد جلس ببطء.
دون أن يصدر أي صوت.
...
مرّت ثوانٍ.
ثم دقيقة كاملة.
لم ينتبه العامل.
أنهى آخر سطر في الدفتر.
أغلقه.
وحمل كوب القهوة.
وقال لنفسه:
"حسنًا... انتهيت."
رفع رأسه...
ليتجمد في مكانه.
...
كان الطفل...
واقفًا أمامه.
على بعد خطوة واحدة فقط.
لا يتحرك.
لا يرمش.
عيناه...
سوداوان بالكامل.
وتحيط بهما تشققات سوداء امتدت بهدوء على جانبي الوجه.
أما أظافره...
فبدت أطول قليلًا من أظافر طفل طبيعي.
...
اتسعت عينا العامل.
ارتجفت يده.
سقط كوب القهوة على الأرض.
ثم تبعه الدفتر.
تسارعت أنفاسه.
فتح فمه محاولًا الصراخ...
لكن الصدمة حبست صوته.
...
تقدم الطفل خطوة بطيئة.
ثم أخرى.
كان جسده يميل بطريقة غير مستقرة.
وكأن توازنه لم يكتمل بعد.
وقف أمام العامل مباشرة.
أمال رأسه قليلًا.
ثم أخذ يستنشق رائحته ببطء.
مرة...

ثم مرة أخرى.
...
تراجع العامل خطوة مذعورًا.
ثم أخرى.
حتى اصطدم بأحد الأدراج المعدنية خلفه.
اختل توازنه.
وسقط أرضًا.
...
في اللحظة التالية...
قفز الطفل فوقه بسرعة لم يتوقعها.
ثبت إحدى يديه على رأس العامل.
وظل يقترب من وجهه...
يستنشق أنفاسه.
ارتجف العامل بعنف.
بدأ صوته يخرج أخيرًا.
صرخة قصيرة...
تحولت إلى صراخ مرعب.
لكن...
جدران المشرحة السميكة ابتلعت كل شيء.
لم يسمعه أحد.
...
وفجأة...
انقض الطفل على عنقه.
ارتفع صوت تمزق اللحم.
وامتلأ المكان بصراخ مكتوم...
ثم أخذ يخفت...
شيئًا...
فشيئًا...
...
مرّت لحظات.
ساد بعدها صمت ثقيل.
وقف الطفل ببطء.
التفت يمينًا.
ثم يسارًا.
كأنه يبحث عن شيء آخر...
ثم اتجه نحو باب المشرحة.
...
مرّت ساعات قليلة...
كان الليل قد ازداد هدوءًا.
امتدت الغابة تحت ظلام كثيف، لا يقطعه سوى ضوء القمر المتسلل بين أغصان الأشجار.
كانت الرياح تداعب أوراق الشجر برفق.
وتعالت بين الحين والآخر أصوات الحشرات الليلية.
...
في أحد المسارات الترابية داخل غابة أوكوتاما...
ظهر الطفل.
كان يسير بخطوات متعثرة.
مرة يميل إلى اليمين.
ومرة إلى اليسار.

وكأن جسده لم يعتد الحركة بعد.
...
فجأة...
تعثر بجذر شجرة.
وسقط على الأرض.
بقي ساكنًا لعدة ثوانٍ.
لا يتحرك.
ولا يصدر صوتًا.
ثم...
بدأت أصابعه تنقبض ببطء.
رفع رأسه.
واستند على ذراعيه.
ونهض بحركة غريبة وغير متزنة.
وقف في مكانه.
رفع رأسه نحو الهواء.
واستنشق ببطء...
مرة...
ثم مرة أخرى.
خرج من حنجرته صوت أجش، منخفض، لا يشبه صوت طفل ولا صوت حيوان.
ثم...
اندفع راكضًا بين الأشجار.
...
في مكان غير بعيد...
كانت نار صغيرة تشتعل.
جلس شاب وفتاة بجوارها.
يتبادلان أطراف الحديث وسط هدوء الغابة.
ابتسم الشاب وهو ينظر إليها.
وقالت الفتاة ضاحكة:
"أخبرتك أن التخييم هنا فكرة جميلة."
ابتسم لها.
ومد يده يمسح خصلة من شعرها عن وجهها.
اقترب منها قليلًا...
...
وفجأة...
اهتزت الشجيرات خلفه.
التفت نصف التفاتة.
لكن...
قبل أن يرى شيئًا...
اندفع ظل صغير من بين الأشجار.
واصطدم به بعنف.
سقط الاثنان على الأرض.
صرخت الفتاة وهي تراجعت مذعورة.
حاول الشاب دفع المهاجم عنه.
كان صغير الحجم...
لكنه يتحرك بطريقة مخيفة.
لكمه الشاب.
ثم ركله بكل قوته.
طار الجسد الصغير عدة أمتار، وارتطم بالأرض متدحرجًا بين الأوراق.

تنفس الشاب بسرعة.
ونهض وهو يلهث.
رفع نظره...
فرأى المهاجم بوضوح لأول مرة.
طفل.
لكن...
بعينين سوداويين بالكامل.
وتشققات داكنة تمتد حولهما.
تراجع الشاب خطوة دون وعي.
وتمتم:
"ما... هذا؟"
جلس الطفل على الأرض بصمت.
ثم أدار رأسه ببطء نحوه.
...
استدار الشاب ممسكًا بيد الفتاة.
"اركضي!"
لكن...
قبل أن يبتعدا...
اندفع الطفل مجددًا.
هذه المرة...
لم يحاول العض مباشرة.
مرر أظافره الطويلة على مؤخرة ساق الشاب.
مزقت الجلد.
صرخ الشاب وسقط على ركبة واحدة.
وفي اللحظة نفسها...
انقض الطفل عليه.
بدأ يخدشه.
ويحاول الوصول إلى عنقه.
كان الشاب يقاوم بكل ما يملك.
يدفعه.
ويضربه.
لكن الطفل لم يتوقف.
...
صرخت الفتاة.
التقطت غصنًا سميكًا من الأرض.
وركضت نحوهما.
ثم ضربت الطفل بكل قوتها.
ارتطم جسده بالأرض.
وتدحرج عدة مرات بين الحجارة والأوراق.
أسرعت نحو الشاب.
حاولت رفعه.
لكن جسده كان أثقل مما توقعت.
"هيا... انهض!"
كررَت المحاولة.
مرة...
ثم أخرى...
...
وفجأة...

خرج الطفل من الظلام خلفها.
وانقض عليها.
غرست أسنانه في ذراعها.
اقتلع قطعة من اللحم.
اندفعت الدماء.
دوّى صراخها في أرجاء الغابة.
حاول الشاب النهوض لإنقاذها.
لكن الطفل ترك الفتاة في اللحظة نفسها...
وانقض على عنق الشاب.
...
وقبل أن يجهز عليه...
ظهرت من بعيد أضواء مصابيح يدوية.
وتعالت أصوات رجال.
"هناك أحد!"
"سمعت صراخًا من هذا الاتجاه!"
رفع الطفل رأسه.
ثبت نظره نحو الأضواء.
ثم...
استدار.
واختفى بين الأشجار بسرعة.
...
وصل الرجال بعد لحظات.
تجمدوا في أماكنهم.
الشاب والفتاة...
غارقان في الدماء.
اقترب أحدهم بسرعة.
"إنهما لا يزالان يتنفسان!"
صرخ آخر:
"أحضِروا السيارة!"
حملوهما على عجل.
وانطلقت السيارة تشق الطريق خارج الغابة...
بينما بقيت النار الصغيرة...
تحترق وحدها في صمت.
...
انطلقت السيارة بأقصى سرعتها عبر الطريق الليلي.
كانت أضواءها تشق الظلام.
وفي المقعد الخلفي...
كان الشاب والفتاة ممددين.
ثيابهما ملطخة بالدماء.
وتنفسهما متقطع.
ضغط أحد الرجال بقطعة قماش على عنق الشاب محاولًا إيقاف النزيف.
بينما أمسك آخر بذراع الفتاة المصابة.
قال السائق وهو ينظر إلى الطريق:
"تمسكوا... بقي القليل."
...
بعد دقائق...
ظهرت أضواء مستشفى صغير عند أطراف طوكيو.
توقفت السيارة بعنف أمام المدخل.

فتح الرجال الأبواب بسرعة.
وصاح أحدهم:
"النجدة!"
"لدينا مصابان!"
خرج ممرضان مسرعين، يتبعهما طبيب المناوبة.
نظر الطبيب إلى الإصابات.
ثم قال بسرعة:
"أحضِروا سريرين!"
اندفع الممرضون إلى الداخل.
وعادوا بعد لحظات.
وضعوا المصابين على السريرين.
وأخذوهما مباشرة إلى قسم الطوارئ.
أُغلقت الأبواب خلفهم.
وبقي الرجال في الخارج.
يحاول كل واحد منهم استيعاب ما رآه.
...
ساد الصمت للحظات.
ثم قال أحدهم:
"ما الذي هاجمهما؟"
أجاب آخر وهو يهز رأسه:
"لا أعلم..."
"لكنني لم أرَ شيئًا كهذا في حياتي."
نظر رجل ثالث إلى آثار الدم على يديه.
وقال بهدوء:
"الغريب... ليس كمية الدم."
التفتوا إليه.
"بل الإصابات."
سأله أحدهم:
"وما بها؟"
قال وهو يسترجع المشهد:
"هناك خدوش طويلة..."
"وعضات..."
"لكنها ليست كعضة إنسان."
صمت قليلًا.
ثم قال مترددًا:
"هل يمكن أن يكون..."
"...إينوجامي؟"
نظر الجميع إليه.
ثم انفجر أحدهم ضاحكًا.
"هل فقدت عقلك؟"
وأضاف آخر مبتسمًا:
"ستصدق الأساطير أيضًا؟"
ابتسم الرجل بخجل.
"ربما..."
"لكنني لم أجد تفسيرًا."
ربت أحدهم على كتفه.
"دع الشرطة تحقق في الأمر."
"أما نحن..."

"فلنعد إلى منازلنا."
هز الجميع رؤوسهم بالموافقة.
ركبوا سياراتهم.
وغادروا المكان...
دون أن يدرك أحد منهم...
أن الكارثة التي أوصلوها بأيديهم إلى المستشفى...
كانت قد دخلت بالفعل من أبوابه.
...
في الداخل...
أُغلقت أبواب غرفة الطوارئ.
وبدأ الأطباء عملهم بسرعة.
بينما ارتفع صوت جهاز مراقبة نبضات القلب...
يملأ الغرفة بإيقاع منتظم.
لم يكن أحد يعلم...
أن تلك الليلة...
لن تنتهي كما بدأت.
...
حلّ الصباح...
كان الضوء يتسلل بين الأشجار، بينما بقيت آثار النار في الغابة شاهدة على ما حدث خلال الليل.
لكن بعيدًا عن ذلك المكان...
كانت الحياة تستمر بشكل طبيعي.
السيارات تتحرك.
المتاجر تفتح أبوابها.
والناس يتجهون إلى أعمالهم.
لم يكن أحد يعلم أن شيئًا جديدًا قد ظهر بينهم.
...
في أحد الطرق القريبة من غرب طوكيو...
كان رجل يسير وحده.
يحمل حقيبة صغيرة بيده.
يتوقف أحيانًا ليراجع طريقه.
ثم يواصل السير.
...
توقف فجأة.
لأن شيئًا اندفع نحوه من جانب الطريق.
لم يفهم ما حدث إلا بعد أن سقط على الأرض.
كان الطفل أمامه.
عيناه السوداوان ثابتتان عليه.
انقض عليه.
حاول الرجل دفعه، لكنه لم يستطع.
صرخ:
"ابتعد عني!"
حاول النهوض.
لكن الطفل أسقطه مرة أخرى.
...
وعلى بعد أمتار قليلة...
كان رجل آخر يمر بالطريق.
سمع الصراخ.
التفت.

رأى المشهد.
تردد لحظة...
ثم اندفع لمساعدته.
أمسك بأنبوب معدني كان ملقى قرب الطريق.
"ابتعد عنه!"
رفع الأنبوب.
اندفع الطفل نحوه.
رفع الرجل الأنبوب بسرعة وضربه بكل قوته.
ضربة واحدة.
ارتطم الأنبوب برأس الطفل.
سقط على الأرض.
بقي ساكنًا.
...
جلس الرجل على الأرض وهو يلهث.
نظر إلى ذراعه.
كانت مصابة وتنزف.
مزق قطعة من ملابسه وربطها حول الجرح.
ثم رفع عينيه نحو الطفل.
لم يتحرك.
اقترب بحذر.
"هل... مات؟"
لم يجبه أحد.
ظل الطفل مستلقيًا بلا حركة.
...
مرت لحظات.
ثم...
تحركت أصابع الطفل.
جلس ببطء.
تغيرت ملامحه.
حرك رأسه إلى اليمين.
ثم إلى اليسار.
توقف.
كرر الحركة مرة أخرى.
وكأنه يحاول استيعاب المكان من حوله.
تراجع الرجل قليلًا.
رفع الأنبوب من جديد.
"لا تقترب."
رفع الطفل رأسه.
ثبت عينيه عليه.
لكنه لم يهاجم.
ظل واقفًا.
يراقبه.
...
شد الرجل قبضته.
"ماذا تنتظر؟"
اندفع فجأة نحوه.
رفع الأنبوب بكل قوته.
لكن...

في اللحظة التي نزل فيها الأنبوب...
انخفض الطفل قليلًا.
وتحرك إلى الجانب.
مرت الضربة بجانبه.
تجمد الرجل.
اتسعت عيناه.
"ماذا...؟"
لم يمنحه الطفل وقتًا آخر.
انقض عليه.
سقط الرجل أرضًا.
صرخ.
وحاول دفعه بعيدًا.
لكن الطفل كان قد وصل إليه.
...
وبعد لحظات...
ساد الهدوء من جديد.
لم يبقَ في المكان سوى الأنبوب المعدني على الأرض...
والجسدين.
أما الطفل...
فقد اختفى بين شوارع غرب طوكيو.
دون أن يعرف أحد إلى أين ذهب.
...
يتبع...